

الفصل الثالث المراكز والمؤسسات العلمية فى إقليم خراسان

أولاً: المراكز العلمية فى إقليم خراسان

١ - نيسابور وأهم مدنها وقراها:

٢ - مرو وأهم مدنها وقراها:

٣ - هراة وأهم مدنها وقراها:

٤ - بلخ وأهم مدنها وقراها:

ثانياً: المؤسسات العلمية فى إقليم خراسان.

أولاً: المراكز العلمية في إقليم خراسان

لقد شهد إقليم خراسان في العصر السلجوقي نهضة علمية كبيرة، نتيجة تشجيع السلاطين والوزراء للعلم والعلماء، على جانب الرحلات العلمية من إقليم خراسان وإليه.

وقد ساعد على ازدهار الحياة الفكرية في إقليم خراسان، ما كانت تموج به المدن الرئيسية بالفرق الدينية وصراعها المذهبي والتي اتخذت العلم والثقافة وسيلة لتحقيق السياسة، وخلف رجال العلم من السنة والشيعة كثيراً من الآثار العلمية والأدبية التي تميز بها العصر السلجوقي^(١).

وقد تميزت مدن خراسان في هذا العصر بقوة الحركة العلمية والأدبية مثل نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ.

١ - نيسابور وأهم مدنها وقراها:

أ - نيسابور

نيسابور بفتح النون وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنين وفتح السين المهملة وبعد الألف باء منقوطة بواحدة وفي آخرها الراء^(٢).

كانت مدينة نيسابور مركزاً مهماً من مراكز أهل السنة، والشافعية منهم بوجه الخصوص، ونيسابور عاصمة إقليم خراسان الذي عرف عن أهله أنهم أكثر الناس رغبة في الدين والعلم^(٣). وكانت أول عاصمة للسلاجقة في عهد السلطان طغرل بك وقال عنها ياقوت^(٤): "نيسابور مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم آر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها".

ولقد ظهر بنيسابور طبقة من كبار المحدثين والفقهاء، وقامت على أيدهم حركة إنشاء المدارس، وذلك عندما رأى الشافعية ضعف مركزهم في عهد

(١) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص ٢٥٠.

(٢) السمعاني: النسب، ج ٥، ص ٤٥٢. أبي الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٠.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٦١.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٢٢.

طغرلبك، وجهوا اهتمامهم إلى دارسة، وذلك عندما رأى الشافعي الأشعري وأصوله والدعوة له، ومن هؤلاء الشيخ أبو إبراهيم بن محمد بن مهران الاسفرائيني الذي بنى مدرسته المشهورة بنيسابور، وقام بتدريس الفقه بها^(١).

وقدم خرج منها أئمة العلم من لا يحصى^(٢). منهم الشيخ الغمام الصالح القدوة، الزاهد هن مسند خراسان، أبو حفص، عمر بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسرور النيسابوري ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٥م، حدث عنه عبيد الله بن أبي القاسم القشيري^(٣).

ومن ينسب إلى نيسابور أيضاً أحمد بن سهل، أبو بكر السراج النيسابوري ت ٤٩١هـ / ١٠٩٧م، كان يحسن الكلام على فقه الحديث^(٤).

ومن ينسب إليها من الصوفية: الفضل بن محمد بن عبيد القشيري الصوفي النيسابوري ت ٥٠٦هـ / ١١١٣م^(٥).

ومن ينسب إليها من أهل الحديث محمد بن أبي أحمد بن صاعد أبو سعيد الصاعدي النيسابوري ولد ٤٤٤هـ / ١٠٥١م، وسمع الحديث من أبي القاسم القشيري، ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م ورحل إلى بغداد سنة ٥٠٣هـ / ١١١٠م، وحدث بها، وكانت له منزلة عظيمة عند الخواص والعوام وتوفي بنيسابور ٥٢٧هـ / ١١٣٤م^(٦).

ومن ينسب إليها من الفقهاء هبة الله بن سهل أبو محمد البسطامي النيسابوري الفقيه الصالح المتعبد ت ٥٣٣هـ / ١١٤٠م^(٧).

ومن فقهاء نيسابور أيضاً الحسن بن ذي النون بن أبي القاسم بن أبي الحسن

(١) ابن خلكان: وفيات العيان، ج ١، ص ٥.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٢٤.

(٣) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٧، ١٨.

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٤.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٣٣.

(٧) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٠٣.

النيسابورى، قدم بغداد، فوعظ بها، وكان ينال من الأشاعرة فأحبته الحنابلة، وجرت بسببه فتنة ببغداد، وتوفى سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٢م^(١).

ب - طوس:

بضم الطاء وسكون الواو والسين^(٢)، ذات قرى كثيرة، عاصمتها طابران ونوقان، ولهما أكثر من ألف قرية والنسبة إليها وإلى قراها طوسى، ولا يحصى من نسب إليها من أهل العلم والفضل^(٣).

وطوس هى مسقط رأس الوزير نظام الملك، ولذلك فقد اهتم بها وبنى بها مدرسة نظامية طوس^(٤). ولم تزل طوس حتى اليوم تحتفظ بمكانتها العلمية ومكتبتها النادرة التى تحتوى على اندر المخطوطات القديمة^(٥).

ومن ينسب إليها من الفقهاء: محمد بن إسماعيل بن محمد أبو على القاضى الطوسى، من أهل طوس، رحل إلى العراق، وتفقه بها، وكان فقيها فاضلا، وعاد إلى طوس، وتولى القضاء فيها، ت ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م^(٦).

ومن ينسب إليها أيضا محمد بن احمد القاسم، الشعرى الطوسى، من شيوخ الشافعية المتعصبين فى المذهب ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م^(٧).

ومن ينسب إليها أيضا أبو القاسم، الشعرى الطوسى ت ٤٩٨هـ / ١٠٩٦م، أخو الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م^(٨).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٤٦.

(٢) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٠.

(٣) ياقوت الحموى: المشترك، ص ٢٩٧.

(٤) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٩٠، محمد عبد العظيم أبو النصر: نظم الحكم، ص ٤٧٩.

(٥) عبد الهادى رضا: الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقى، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة كلية الآداب، ١٩٥٩م، ص ٣٦٢.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤ ص ١١٣.

(٨) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤٠٩.

ج - طابران:

بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعد اللف نون^(١)، والنسبة إليها الطائيرانى، وهى إحدى مدينتى طوس^(٢)، طوس عبارة عن مدينتى أكبرهما طابران والأخرى نوقان^(٣)، ولقد زارها السمعانى ت ٥٦٢هـ / ١٠٩٦م، أكثر من مرة وأقام بها مدة^(٤) وقد خرج منها جماعة من العلماء ممن نسبوا إلى طوس^(٥)، منهم العباس بن محمد أبى منصور العصارى أبو محمد الطوسى المعروف بعباية من أصحاب الطابران، كان شيخا صالحا سكن نيسابور، وكان يعظ فى بعض الأوقات بمسجد عقيل نيسابور ت ٥٤٩هـ / ١٠٥٧م^(٧).

د - نوقان:

بفتح النون، وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون^(٨)، إحدى مدينتى طوس^(٩)، ويقول السمعانى^(١٠) "دخلتها ست مرات، وأقمت بها مدة، وكتبت عن جماعة كثيرة من أهلها" وقد خرج منها خلق كثير من العلماء^(١١).
منهم: الإمام أبو منصور، محمد بن احمد بن أبى بكر، راوى الحديث، وكان ثقة، فاضلا، مكثرا، ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م^(٩).

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٨.

(٢) السمعانى: النسب، ج ٤، ص ٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٣٧، أبو الفدا: تقويم البلدان ن ص ٤٤٩.

(٤) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٣.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٣٧.

(٦) ياقوت: نفسه.

(٧) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٢.

(٨) ياقوت الحموى: المشترك، ص ٤٢٣.

(٩) السمعانى: الأنساب، ج ٥، ص ٤٣٨.

(١٠) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٠٨.

(١١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤٧.

ومن أدباء نوقان:

إسماعيل بن زاهر بن محمد بن عبد الله بن محمد، أبو القاسم النوقاني، ورحل إلى البلاد وسمع من الكثير، وكان ثقة صدوقا أدبيا، حسن السيرة، ت ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(١).

ومن فقهاء نوقان:

القاضي أبو علي ناصر بن إسماعيل النوقاني الحاكم، كان فاضلا كبيرا من وجوه أصحاب الشافعي، حسن الكلام في المناظرة، درس سنين بنوقان، وكان قاضيا ت ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(٢).

ومن علمائها أيضا: الإمام أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن عبد الجبار بن عبد الواحد المروزي التوثي، كان من تلاميذ أبي المظفر السمعاني المتوفى ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م، وسمع منه ومن غيره، وتوفى التوثي ٥٤٨هـ / ١١٥٧م^(٣).

هـ - باخرز:

بفتح الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفي آخرها الزاي^(٤)، تشمل على مائة وثمان وستين قرية عاصمتها مالين^(٥)، وهي ناحية من نواحي نيسابور^(٦)، خرج منها جماعة كثيرة من أهل الأدب والفقه والشعر^(٧)، منهم أبو الحسن الباخري ت ٤٦٧هـ، ١٠٧٤م، وكان أدبيا فاضلا، أشعاره غاية في الحسن ومعانية في اللطف، وله ديوان كبير أكثره في مدح الوزير نظام الملك الطوسي ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، كما مدح بعض الأدباء والشعراء في الدولة السلجوقية^(٨).

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٣١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٦٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٦٤.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٢٠٥.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٢٥٨.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٦) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٢٥٨.

(٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٨) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٣٨.

و - مالين؛

بفتح الميم وسكون الألف وكسر اللام وسكون المثناه من تحتها وفي آخرها نون^(١)، ومالين موضعين أحدهما قرى مجتمعة على فرسخين من هراة يقال لجميعها مالين وأهل هراة يقولون مالان^(٢)، والأخرى عاصمة باخرز^(٣)، وممن ينسب إلى مالين باخرز أبا نزار عبد الباقي بن يوسف الماليني الباخريزي ت ٥٤٦هـ / ١١٥٣م^(٤).

ز - قوهستان «قهستان»؛

بضم القاف وسكون الواو وكسر الهاء وسكون السين والتاء فوقها نقطتان، وألف ونون وهو تعريب كوهستان معناه ناحية الجبال^(٥)، ناحية كبيرة بخراسان بين نيسابور وهراة^(٦)، وقوهستان عاصمتها قاين، ومدنها زوزن وطبس وبون وطريث وغيرها، والمدن والقرى التي بقوهستان متباعدة، والجامع في وسط المدينة، وبها " قهندز " أى قلعة^(٧)، وإليها القهستاني^(٨)، وكانت قهستان ومدنها جبال سقطت في يد الإسماعلية الباطنية في العصر السلجوقي^(٩).

ح - قاين؛

بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناه تحته مكسورة ونون، وقاين عاصمة قهستان "قوهستان"، وقهستان من خراسان^(١٠)، وهى بلدة قريبة من طبس بين

-
- (١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٦.
 - (٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٩٨.
 - (٣) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٥٩.
 - (٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٩٨.
 - (٥) ياقوت الحموى: المشترك، ص ٣٦٢، ٣٦٣.
 - (٦) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٥٤٣.
 - (٧) ياقوت الحموى: البلدان، ج ٧، ص ١٠٣.
 - (٨) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٥٤٣.
 - (٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٠٣.
 - (١٠) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

نيسابور وأصبهان^(١)، وينسب إليها خلقا كثيرا من أهل العلم والفقه^(٢)، كما خرج منها جماعة من المحدثين قديما وحديثا، والنسبة إلى القايين^(٣).

ومن ينسب إليها من أهل الحديث أبو منصور محمد بن علي القايين الدباج، أحد المشهورين بالخير، سمع من الإمام أبي بكر البيهقي، وأبا القاسم القيشري ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م، وسمع منه أبوة المظفر السمعاني ت ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م، وروى عنه خلق كثير^(٤)، أما أبنه فهو الجنيد بن محمد بن علي القايين، الإمام القدوة المحدث، شيخ الصوفية، نزل هراة وحدث بها كما كان فقيها فاضلا توفي سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م^(٥).

ومن فقهاء قايين أيضا، جعفر بن أبي طالب أحمد بن محمد بن عبد الله ابن عوانه، أبو الفخر القايين، سمع من أبي إسماعيل الأنصاري، ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، وروى عنه أبو سعد السمعاني، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م، وولي القضاء بقرية غورج على باب هراة، وتوفي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م^(٦).

ط - زوزن:

يضم أوله وقد يفتح وسكون ثانية وزاي أخرى ونون^(٧)، من مدن قوهستان مع قايين^(٨)، زوزن، بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور وكان بعض الكبراء يقول: زوزن هي البصرة الصغرى، لكثرة فضائلها وعلمائها^(٩)، ويحسبونها من أعمال نيسابور^(١٠)، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن^(١١). ومنهم على بن

(١) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٤١٦، ٤١٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٤.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٤١٦.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٤١٦.

(٥) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٨.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٥٤.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٨.

(٨) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٣.

(٩) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ١٩٥.

(١٠) ياقوت الحموي: البلدان، ج ٤، ص ٤٨٨.

(١١) السمعاني: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٥.

محمود بن إبراهيم بن ماخرة أبو الحسن الزوزني الصوفي، شيخ الصوفية، سكن بغداد، وصار شيخ الرباط وسمى رباط الزوزني، وتوفي ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م، ودفن بالرباط^(١).

ومن محدثي زوزن المشهورين: الشيخ المسند الكبير، أبو مسعود أحمد بن محمد بن علي بن محمود الزوزني، رحل إلى بغداد، وأصبح من مشاهير الصوفية وسمع بها، وحدث عن أبو المظفر السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م، وتوفي سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م^(٢)، وابنه أبو الفتوح محمد بن أحمد بن محمد الزوزني، سمع من شيوخ زوزن وغيرها^(٣).

ي - طبس:

بفتح الطاء المهملة والباء الواحدة ثم السين مهملة، من أعمال قهستان^(٤) بين نيسابور وأصبهان^(٥)، وهذه المدينة موضعان يقال لأحدهما طبس العنان وللأخرى طبس التمر^(٦)، وسمى الطبسين^(٧)، والعرب يقولوا الطبسان طبس كيلكى وطبس مسنيان^(٨)، والطبسان في هذا الموضوع، وخرج منها جماعة من المحدثين العلماء^(٩)، منهم: أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبي جعفر الطبسي الحافظ، وصاحب التصانيف الكثيرة، جال في معظم نواحي خراسان، وتوفي سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٩٨ م^(١٠).

-
- (١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢١٤ .
 - (٢) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٥١ .
 - (٣) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ١٩٧ .
 - (٤) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٨ .
 - (٥) القزويني: آثار البلاد، ص ٤٠٦ .
 - (٦) ياقوت: المشترك، ص ٢٩٢ .
 - (٧) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٩ .
 - (٨) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٢٦ .
 - (٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٥٠ .
 - (١٠) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٢٩ .

وَمَنْ يَنْسَبُ إِلَيْهَا أَيْضاً أَبُو الْمُحَاسِنِ عَبْدِ الرَّازِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّبْسِي، كَانَ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ عَلَى الْمَشَايِخِ وَيَفِيدُ النَّاسَ، وَكَانَ صَحِيحَ الْقِرَاءَةِ^(١).

وَيَقُولُ السَّمْعَانِيُّ^(٢) عَنْهُ "سَمِعْتُ الصَّحِيحِينَ بِقِرَاءَتِهِ مِنَ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الْفَرَاوِي، وَكُتِبَتْ عَنْهُ الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي الْفَضْلِ الطَّبْسِي الْخَافِظَ".

وَقَدْ سَمِعَ أَبُو الْفَضْلِ الطَّبْسِي ت ٤٨٠ هـ / ١٠٩٦ م، الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْمُحَاسِنِ عَبْدِ الرَّازِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّبْسِي بِطَبَس، وَتَوَفَّى أَبُو الْمُحَاسِنِ هَذَا بَنِيْسَابُورَ بَعْدَ ٥٣٠ هـ / ١١٣٧ م^(٣).

ك - تون:

بِضَمِّ التَّاءِ وَسُكُونِ الْوَائِ وَنُونٍ مِنْ بِلَادِ خِرَاسَانَ^(٤)، مَدِينَةٍ مِنْ نَوَاحِي قَهْسْتَانَ قَرِبَ قَايِن^(٥)، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُهَا أَهْلَ سَنَةِ وَصْلَاحٍ إِلَى أَنْ مَلَكَهَا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ الْبَاطِنِيَّةُ فِي الْعَصْرِ السَّلْجُوقِيِّ^(٦)، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ^(٧)، مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ التُّونِي الْمَحْدُثُ، كَانَ فَقِيْهًا مَدْرَسًا وَرَدَّ هَرَاةَ وَسَكَنَهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م^(٨).

وَمَنْ يَنْسَبُ إِلَيْهَا أَيْضاً: أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدِ التُّونِي، خَادِمُ مَسْجِدٍ عَقِيلٍ، سَمِعَ مِنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، وَقَتْلَهُ الْغَزَّ بَنِيْسَابُورَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ٥٤٩ هـ / ١١٦٦ م^(٩).

(١) السَّمْعَانِيُّ: الْأَنْسَابُ: ج ٤، ص ٢٧.

(٢) الْأَنْحِسَابُ: ج ٤، ص ٢٧.

(٣) السَّمْعَانِيُّ: نَفْسُ الْمَصْدَرِ وَنَفْسُ الصَّفْحَةِ.

(٤) يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: الْمُشْتَرَكُ، ص ٨٦.

(٥) يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٦) يَاقُوتُ: الْمُشْتَرَكُ، ص ٨٦.

(٧) السَّمْعَانِيُّ: الْأَنْسَابُ، ج ١، ص ٥١٩.

(٨) يَاقُوتُ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٩) السَّمْعَانِيُّ: الْأَنْسَابُ، ج ١، ص ٥١٩.

ل - طريثيث:

بضم أوله وفتح ثانية ثم ياء مثناة من تحت وطاء مثله، تصغير الطرثوث وهو نبت كالفطر، ومستطيل دقيق يضرب إلى الحمرة يؤبس، وهو دباغ للمعدة منه مر ومنه حلو جعل في الأدوية^(١)، وهى ناحية كبيرة من نواحي نيسابور، بها قرى كثيرة، يقال لها بالفارسية ترشيز^(٢)، وكانت منبعاً للفضلاء، وموطناً للعلماء وأهل الدين والصلاح^(٣).

وقد استولى عليها الإسماعيلية الباطنية^(٤)، كما استولوا على قهستان وزوزن فى العصر السلجوقي^(٥)، وخرج منها جماعة من أهل العلم، ومنهم: المحدث أبو الحسن، على بن محمد بن جعفر الطريثيثي، سمع الحديث ورواه، وحدث عنه زاهر الشحامى وبقي إلى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م^(٦).

ومن فقهاء طريثيث:

أحمد بن على بن الحسين بن ذكرى الطريثيثي، المسند، الصوفى، سمع من أباه، وغيره، وروى عنه جماعة، وكان شيخاً له قدم فى التصوف، وكان حسن التلاوة ت ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م^(٧).

ومن الأدباء والنحويين:

عبد الله بن محمد بن طاهر الطريثيثي، القاضى النحوى، كانت له يد باسطة فى النحو واللغة والأدب ت ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م^(٨).

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٦٠.

(٢) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٦٠.

(٤) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٤٣.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٦٠.

(٦) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٧) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٩، ٤٠.

(٨) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ٥٣.

م - بيهق:

بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الياء المنقوطة باثنين من تحتها وبعدها الهاء وفي آخرها القاف، وهي قرى مجتمعه بنواحي نيسابور، وكانت عاصمتها خسر وجرّد فصارت سبزاور ويقال لها سبزووار^(١) وأصلها بالفارسية بيهة يعنى بهاءين ومعناه بالفارسية الأجود، وتشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية^(٢)، وقد أخرجت وقراها من لا يحصى من الفضلاء والعلماء والفقهاء والأدباء^(٣)، ومع ذلك فالغالب على أهلها مذهب الرافضة (الشيعة) الغلاة^(٤).

وممن ينسب إليها من العلماء:

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م، وكان إماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي، وكان زاهدا وتوفي بنيسابور ونقل إلى بيهق^(٥).

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين بن علي البيهقي من العلماء والمحدثين توفي سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م^(٦).

وممن ينسب إليها أيضا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل ابن الإمام المحدث أحمد بن الحسين البيهقي، أكبر رواة الأحاديث في عصره، توفي سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م^(٧).

ن - خسر وجرّد:

بضم أوله وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم

- (١) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٤٦١.
- (٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٣) السمعاني: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦١.
- (٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٥) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٥.
- (٦) البيهقي: علي بن زيد ت ٥٦٥ هـ / ١١٧١ م، تاريخ بيهق، ترجمة عن الفارسية وحققه يوسف الهادي، ط ١، سورية، دمشق، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣٩٣.
- (٧) البيهقي: نفسه، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

وسكون الرء وفى آخرها الدال المهملة^(١) من أعمال نيسابور، وكانت عاصمة بيهق وهى إحدى قراها، وفى العصر السلجوقى أصبحت سابزوار عاصمة بيهق^(٢)، خرج منها جماعة من الأئمة^(٣)، عامتهم منسوبون إلى بيهق^(٤)، منهم:

أبو منصور محمد بن أحمد بن الحسين الخسروجردى، وكان له بخسروجردى آثار ومبررات، روى عن المشايخ الأحاديث وتوفى بها سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م^(٥).

ومن ينسب إليها أيضا: أحمد بن على بن حامد البيهقى الخسروجردى وكان الخسروجردى، المدرس والمناظر بها ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م^(٦).

ومن ينسب إليها أيضا: المفتى أحمد بن على البيهقى الخسروجردى، وقد دعاه نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، من خسروجردى للإقامة بسابزوار، وكان من فحول تلاميذ الامام أبى محمد عبد الله بن يوسف الجوىتى ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م، وكان الخسروجردى عالما حافظا^(٧).

س - جوين:

بضم الجيم وفتح الواو وياء ساكنة ونون، وهى من مدن نيسابور^(٨) وأهل خراسان يسمونها كويان، فعرب وجعل جوين، ولها قرى كثيرة متصلة بعضها ببعض وعاصمتها أزاوار^(٩). وخرج منها جماعة من المحدثين والأئمة^(١٠)، وينسب إلى جوين خلق كثير من الأئمة والعلماء^(١١).

- (١) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٤١٧.
- (٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٤، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٩.
- (٣) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٤١٧.
- (٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٤.
- (٥) البيهقى: تاريخ بيهق، ص ٣٧٩.
- (٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٢٨.
- (٧) البيهقى: تاريخ بيهق، ص ٣٨١.
- (٨) ياقوت الحموى: المشترك، ص ١١٥.
- (٩) أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥١.
- (١٠) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ١٦٠.
- (١١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٨.

منهم أبو محمد الجويني شيخ الشافعية قرأ الأدب بناحية جوين، وتفقه بها، حتى صار إماماً في التفسير والفقه والأدب وتوفي سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م^(١).

ومن ينسب إليها من العلماء أيضاً: أبو الحسن علي الجويني عم إمام الحرمين، رحل وسمع الكثير، وكان يعرف بشيخ الحجاز، غلب عليه التصوف، توفي ذي القعدة سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م^(٢).

وأشهر من انتسب إلى جوين: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي الجويني، وتفقه في صباه على والده حتى سلم إليه التدريس والمحارب والمنبر ومجلس التذكير يوم الجمعة وكان يحضر درسه كل يوم نحو ثلثمائة وتخرج به جماعة من الأكابر، وتوفي الجويني سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م^(٣).

ومن ينسب إليها من رواة الحديث: أبو عبد الله الجويني، محمد بن حموية بن محمد حموية، كان من المشهورين بالعلم والزهد، وكان صادقاً في رواية الحديث توفي سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م^(٤).

ع - خواف:

بفتح الخاء المعجمة وفي آخرها الفاء بعد الواو والألف^(٥)، ناحية كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان قرب نسا^(٦)، يتصل أحد جانبيها ببوشنج من أعمال هراة^(٧)، والجانب الآخر متصل بزوزن هراة، كان منها جماعة من العلماء والمحدثين^(٨)، كما ينسب إليها جماعة أهل الأدب والعلم منهم^(٩).

- (١) ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٦١.
- (٢) الأسنوي: جمال الدين عبد الرحمن ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م، طبقات الشافعية، طبعة جديدة منقحة ومصححة، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ص ١١١.
- (٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٨، ١٩.
- (٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٦٣، ٦٤.
- (٥) السمعاني: الأنساب: ج ٥، ص ٤٧٠.
- (٦) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٦٤.
- (٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥٥.
- (٨) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٢٥٥.
- (٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٥.

أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي الكاتب، وكان أديبا كاتباً أديبا كاتباً فاضلاً توفي في حدود ٤٦٠ هـ / ١٠٦٦ م^(١).

وينسب إليها أيضاً: أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي ت ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م، تفقه على إمام الحرمين، وكان من خيار تلاميذه، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها، كان مشهوراً بحسن المناظرة وإفحام الخصوم^(٢).

وكان أبو المظفر له ولدان عبد الله بن أحمد الخوافي، ومسعود بن أحمد الخوافي، والثاني كان إماماً فاضلاً^(٣).

ف - ميدان:

بفتح الميم وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفتح الدال المهملة، وفي آخرها النون^(٤)، وميدان محلة بنيسابور^(٥)، وينسب إليها أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري الأديب اللغوي، وله في اللغة تصانيف مفيدة منها "كتاب الأمثال"، لم يعمل مثله، وكتاب "السامي في الأسماء"، كما سمع الحديث أيضاً، وتوفي بنيسابور ودفن بميدان ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م^(٦).

ومن ينسب إلى ميدان أيضاً: أبو سعد سعيد بن أحمد مؤلف كتاب "الأسمى فلا الأسماء" وغيره ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م^(٧).

ص - اسفرايين:

بكسر الألف وسكون السين المهملة، وفتح الفاء والراء المهملة، وكسر المثناة من تحتها وفي آخرها نون، بلدة بنواجي نيسابور^(٨)، وتشتمل على أربعمائة

(١) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٤٧٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٨١.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٤٧٠. ولم يذكر تاريخ وفاتها.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٥٤.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٥٨.

(٧) ياقوت: المشترك، ص ٤١٢.

(٨) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٨، ٤٤٩.

وإحدى وخمسين قرية، وينسب إليها خلق كثير من أعيان الأئمة^(١)، وقيل أن نساو أبيورد واسفرايين عرائس ينشزن على المبتدعين، وخرج منها جماعة من العلماء فى كل فن^(٢) وممن ينسب إليها من الفقهاء:

شهنور بن طاهر بن محمد الأسفراينى الفقيه والمفسر، وكان من المقربين للوزير نظام الملك المطوسى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، وكانت له الرحلة فى طلب العلم، وتوفى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م^(٣).

وممن ينسب إليها يعقوب بن سليمان بن داود الاسفراينى، وكان فقيها أصوليا، نحويا لغويا، شاعرا، حسن الخط، سمع وحدث، وسافر الكثير، وتوفى سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م^(٤).

وممن ينسب إليها من المحدثين: أبو الفرج سهل بن بشر أحمد بن سعيد الأسفراينى الصوفى، وكان محدثا متقنا، ت ٤٩١هـ / ١٠٩٨م^(٥).

وممن ينسب إليها من العلماء أبو الفتوح الاسفراينى محمد بن الفضل بن محمد الواعظ المتكلم، وكان رأسا فى الوعظ أوحده فى مذهب الأشعرى، وله تصانيف فى الأصول والتصوف، ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م^(٦).

ش - استوا:

بضم الألف وسكن السين المهملة وفتح التاء المنقوطة من فوقها بنقطتين أو ضمها وبعدها الواو والألف، وهى ناحية بنيسابور كثيرة القرى والخير^(٧)، وتقرن بخوجان، فيقال استواوخوجان وحدودها متصلة بحدود نسا، خرج منها خلق من العلماء والمحدثين^(٨) منهم:

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٥.

(٢) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١١.

(٤) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٣٥.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦١.

(٦) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٣٩. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١١٨.

(٧) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ١٣٨.

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٤.

وممن ينسب إليها من الفقهاء أبو العلا الأستوائي الشافعى، صاعد بن محمد بن أحمد النيسابورى الحنفى، قاضى نيسابور، وعالمهم، ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩م^(١).

وممن ينسب إليها من الفقهاء أيضا: أبو حامد الأستوائى، أحمد بن محمد بن أحمد، وكان يتحل فى الفقه مذهب الشافعى، وفى الأصول مذهب الأشعرى، وله حظ فى معرفة الأدب، والعربية، ت ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م^(٢).

د- شقان:

بفتح الشين المعجمة، وتشديد القاف، وفى آخرها النون^(٣)، ومن قرى نيسابور والنسبة إليها بكسر الشين ولكن فتحها أشهر، وقد ينسب إليها شاقانى^(٤)، والمشهور من الفقهاء المحدثين منها^(٥).

- الفقيه والمحدث، أبو الفضل العباس بن أحمد بن محمد الحسنى النيسابورى، الشقانى، أحد من أفنى، عمره فى طلب الحديث، وطال عمره، وتوفى سنة ٥٠٦هـ / ١١١٢م، وكان له ولدان أبو بكر محمد، وأحمد يرويان الحديث^(٦).

وابنه أبو بكر محمد بن العباس بن أحمد بن أحمد الشقانى، سمع من والده وسمع منه أبى سعد السمعانى المتوفى ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، وكان يروى صحيح مسلم، وتوفى سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م^(٧).

(١) القرشى الحنفى: محى الدين أبى أحمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبى الوفا، ت ٧٧٥هـ / م. الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ٥ أجزاء، ط ٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٢٦٥، ٢٦٦. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدياء، ج ٢، ص ٢١، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٢٩، السبكى: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٦٠.

(٣) السمعانى: الأنساب، ج ٣، ص ٤٦١.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٨.

(٥) السمعانى: الأنساب، ج ٣، ص ٤٦١.

(٦) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦١.

(٧) السمعانى: الأنساب، ج ٣، ص ٤٦١.

وأخوه أبو العباس أحمد بن العباس بن أحمد الشقاني، كان شيخا صالحا،
روى الحديث بنيسابور، وتوفي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م^(١).

ق - الشامات:

بفتح الشين المعجمة، وفي آخر الكلمة تاء منقوطة من فوقها بنقطتين^(٢)،
والشامات من نواحي نيسابور، وهي من حدود جامع نيسابور، إلى حدود تشت،
طولا، وفيها من القرى ما يزيد عن ثلاثمائة قرية، خرج منها جماعة من أهل
العلم والرواية والأدب^(٣)، كما خرج منها جماعة من الفقهاء المحدثين^(٤).

منهم الشيخ الإمام الفقيه، شيخ القراء أبو سعد أحمد بن إبراهيم بن موسى
ابن أحمد بن منصور النيسابوري، الشاماتي، المقرئ كان شيخ فاضل، ثقة عالم
بالقراءات، توفي ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م^(٥).

ومن أدباء الشامات: الأديب أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين الشاماتي،
كانت له مصنفات في الأدب، وشرح في الشعر، توفي سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م^(٦).

ومن ينسب إليها من المحدثين، الشيخ أبو جعفر محمد بن محمد بن أحمد
الأديب الشاماتي، كان شيخ ثقة أديب فاضل عفيف، روى الحديث بنيسابوري،
وبنوقان نيسابور، توفي سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م^(٧).

ت - شرمقان:

بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة، وفتح الميم والقاف وبعد الألف
نون ويقال لها جزمقان وهي بلدة قريبة من اسفرايين^(٨)، بنواحي نيسابور، وكانت

(١) السمعاني: نفسه.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٦.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٥) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٦٢. ابن العماد الحنبلي: شذرات
الذهب، ج ٣، ص ٢٩٢.

(٦) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢٠، ص ٢٩.

(٧) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٨) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

من أعمال نسا^(١)، وبينها وبين نيسابور أربعة أيام، وقد خرج منها طائفة من العلماء، وينسب إليها^(٢).

- أبو علي الحسن بن أبي الفضل الشرمقاني المؤدب، المقرئ، وكان أحد حفاظ القرآن العالمين باختلاف القراء، ووجوه القراءات، وحدث عن جماعة، وكان صدوقا توفي سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م^(٣).

ومن خطباء شرمقان: أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن خالد الشرمقاني الخطيب، وكان شيخا صالحا عالما، توفي في آخر سنة ٥٣٨ هـ / ١٠٤٦ م^(٤).

أ - ملقباذ:

بالضم ثم السكون والقاف وأخره دال معجمه، محلة بنيسابور^(٥)، ومن ينسب إليها:

الإمام الفقيه مسند نيسابور، أبو حسان محمد بن أحمد بن جعفر، الملقباذى، أحد الثقات الصلحاء، حدث عن والده، وحدث عنه إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي، توفي ٤٣٢ هـ / ١٠٣٩ م^(٦).

ومن ينسب إليها أيضا: عبد الله بن مسعود بن محمد بن منصور الملقباذى، وكان قد أنقطع للعبادة وسمع عنه أبو سعد السمعاني، ت ٥٤٠ أو ٥٤١ هـ / ١١٤٨ م^(٧).

ومن المنتسبون إليها أيضا: أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد

(١) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٤١.
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٦.
(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٢١٢، ٢١٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٩١، ٩٢.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٤١.
(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ٣١٦.
(٦) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٣٢.
(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ٣١٦.

البحتري الملقب بآذى النيسابورى، من بيت العدالة والتزكية ت ٥٥١ هـ / ١١٥٩ م^(١).

ب - أرغيان:

بالفتح ثم السكون وكسر العين المعجمة، وياء وألف ونون^(٢)، من نواحى نيسابور، وبها عدة قرى مثل سنج وبان وراونير وغيرها^(٣)، وينسب إليها جماعة من أهل العلم والأدب^(٤)، منهم الحاكم أبو الفتح الأرغيانى، سهل بن أحمد بن على، طاف فى بلاد خراسان من أجل العلم، دخل طوس، وقرأ التفسير والأصول على شهبور الأسفراينى ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، وقرأ الكلام على إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، وعاد إلى أرغيان، وتولى القضاء وكان نزيها، ثم ترك القضاء، بعدما حج، واشتغل بالعبادة، وتوفى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م^(٥).

ومن فقهاء الشافعية أيضا أبو نصر الأرغيانى محمد بن عبد الله بن أحمد، الشافعى، صاحب الفتاوى، توفى ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م^(٦).

والفقيه أبو العباس الأرغيانى عمر بن عبد الله الأحذب، تفقه على إمام الحرمين، وسمع وحدث، وتوفى سنة ٥٣٤ هـ / ١١٤٠ م^(٧).

ج - الشاذياج:

بفتح الشين المعجمة الساكنة، والياء المفتوحة باثنين من تحتها بعد الألفين، وفى آخرها الخاء المعجمة، هذه النسبة إلى موضعين بخراسان^(٨)، أحدهما من قرى بلخ^(٩).

(١) ياقوت الحموى: نفسه.

(٢) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٧.

(٣) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ١١٥.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٧.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٩١، ٣٩٢.

(٦) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٨٩.

(٧) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٣٨. السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٠٨.

(٨) السمعانى: الأنساب، ج ٣، ص ٣٩٧.

(٩) ياقوت: المشترك، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

خرج منها جماعة من العلماء^(١)، والأخرى مدينة نيسابور^(٢)، وهى على باب بنيسابور مثل قرية متصلة بالبلد وبها دار السلطان ومنها:

- أبو بكر شاه بن أحمد بن عبد الله الشاذياخي الصوفى، ومن أهل الخير والدين، وكان من المختصين بخدمة أبى القاسم القشيري ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م^(٣).

ومن ينسب إليها أيضا: أبو نصر محمد بن سهل السراج الشاذياجي، روى عن جماعة، وتوفى ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م^(٤).

ومن ينسب إليها من أهل الحديث: الشيخ الصالح، عبد الوهاب بن شاه بن أحمد بن عبد الله النيسابورى الشاذياخي، سمع الصحيح، وسمع الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيري ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، وكان من أهل الخير والصلاح، وتوفى سنة ٥٣٥هـ / ١١٤١م^(٥).

٢ - مرو وأهم مدنها وقراها

أ - مرو

بفتح الميم وسكون الراء، وواو، عاصمة خراسان، وتعرف بمرو الشاهجان، ومعناها روح الملك^(٦). وبالقرب منها مرو الروذ والروذ بالذال المعجمة، وهو بالفارسية النهر، فكأنه مرو النهر، فكأنه مرو النهر^(٧) والنسبة إليها المروروذى وإلى مرو الشاهجان المروزي^(٨).

(١) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٣٩٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١١ : ١١٣.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٣٩٧.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٩، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٦٩.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٤٦، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٠٧.

(٦) ياقوت الحموى: المشترك وضعاً، ص ٣٩٥، أبى الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٥٦.

(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٥٣.

(٨) أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٧.

وكان بمرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعهما سور واحد، كما كان بها عشر خزائن للوقف لم ير مثلها في الدنيا من كثرة ما بها من كتب، ومنها خزانتان في الجامع يقال لأحدهما العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني وكان فيها اثنا عشر ألف مجلدا أو ما يقاربها، والأخرى يقال لها الكمالية، وبها خزانة شرف الملك المستوفى أبو سعد محمد بن منصور المتوفى ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، في مدرسته، وكان حنفي المذهب، ثم خزانة نظام الملك الطوسي^(١)

ولقد قام الكثير من أهل مرو ببناء المدارس مما جعلها من أهم مراكز العلم في العصر السلجوقي^(٢).

ومن ينسب إليها من الفقهاء: ناصر بن الحسين العمري المروزي الشافعي، مفتي أهل مرو، كان له الفتوى والتدريس والمناظرة، وصنف كتباً كثيرة، وتوفي سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م^(٣).

ومن ينسب إليها أيضاً محمد بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله المروزي، كان إماماً، ورعاً، عارفاً، عابداً، توفي سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م^(٤).

ومن المنتسبون إليها من أهل العلم: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد المروزي، وكان من العلماء العاملين، وصارت إليه الرحلة في طلب العلم بمرو، وهو منسوب إلى مرو الروذ، وتوفي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٢م^(٥).

ومن ينسب إليها أيضاً الفقيه الشافعي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله،

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٥٤، ٢٥٥، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) مواهب عبد الفتاح: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأتراك السلاجقة على عهد ملكشاه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٨٢م، ص ١٢٤.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ١٢٦.

(٥) الأسنوي: طبقات الشافعية، ص ٣٧٠، ٣٦٩.

المروزي، سمع بن البيهقي وعبد الرحمن بن السمعاني توفي بعد ٥٥٠هـ/١١٥٦م^(١)

ومن ينسب إليها من فقهاء الحنفية: محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصفار، المروزي تفقه وسمع الحديث بمرو، وسمع ببغداد من أبي القاسم هبة الله بن محمد بن سالم الحصين ت ٥٢٥هـ/١١٣١م، وتوفي المروزي سنة ٥٥٧هـ/١١٦٣م^(٢).

ب - سرخس:

بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة، وسين مهملة ساكنة^(٣)، وهي بلدة قديمة من بلاد خراسان^(٤)، تنسب إلى مرو، وهي بين نيسابور ومرو^(٥)، وقد خرج منها كثير من الأئمة والفقهاء والعلماء^(٦).

منهم شيخ الشافعية، أبو نصر السرخسي زهير بن علي، تفقه على الشيخ أبي حامد الأسفرايني، وتوفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م^(٧).

ومن فقهاء الحنفية، أبو سعد السرخسي، عبد الملك بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد تفقه على أبيه عبد الرحمن السرخسي المتوفى ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وولى قضاء البصرة، وحدث ببغداد، وتوفي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م^(٨).

ومن محدثي سرخس عبد الرحمن بن أحمد بن محمد النويري المعروف بالزاز السرخسي، نزيل مرو، سمع الحديث من خلق كثير، وأملى ورحل إليه

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٢٥.

(٢) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج ٣، ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) أبي الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٤.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٥) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٩٠.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧.

(٧) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٨) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٤٧٠، ٤٧١.

العلماء والأئمة، وكان حافظاً لمذهب الشافعي^(١)، وله كتاب كبير فى الفقه يفضله أهل سرخس ومرو، وسماه "الإملاء"، وتوفى سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م^(٢).

ومن الوعاظ بها أبو نصر السرخسى، محمد بن ناصر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى عياض، ولد بسرخس سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م، وتوفى بها سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م^(٣).

ومن ينسب إليها من الأدباء والنحويين: محمد بن الراشدى السرخسى، وكان عالماً بالنحو والأدب، كما كان فقيهاً فاضلاً، يرجع إليه فى الفتوى، وتوفى سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٣م^(٤).

ج - نسا:

بفتح النون والسين مهملة والألف مقصورة، مدينة بخراسان بين أبيورد وسرخس^(٥)، والنسبة المشهورة إلى هذه البلدة النسوى والنسائي^(٦)، وقد خرج منها جماعة من أعيان العلماء^(٧) منهم:

أبو عمرو النسوى، محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن على الشافعى، وكان يعرف بالقاضى الرئيسى، درس الفقه بنسا على القاضى الحسن البرامانى النسوى، ثم رحل وحصل على العلم، وتولى القضاء، بخوارزم، وكان معظماً ومقرباً من سلاطين ووزراء السلاجقة ثم تولى قاضى القضاة بنسا، وكان له الفضل الوافر فى فنون العلوم الدينية وأنواعها الشرعية، وكان لغويًا، نحويًا مفسراً، مدرساً فقيهاً مفتياً، مناظراً، شاعراً، محدثاً، وتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م^(٨).

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧.

(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٢٢.

(٤) السيوطى: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٥) ياقوت: المشترك، ص ٤١٨.

(٦) السمعانى: الأنساب، ج ٥، ص ٣٨١.

(٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٨٤، ٣٨٥.

(٨) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ١٧٥، ١٧٦.

ومن المحدثين اللغويين، الشيخ اللغوى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوى، وكان شاعرا، فاضلا، كاتباً، حسن المحاوره، كريم الصحبة، سمع الحديث الكثير فى رحلاته، وتوفى بنيسابور سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م^(١).

د - أبيورد:

بفتح الألف وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المتقوطة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وفى آخرها الدال المهملة، وهى من بلاد خراسان^(٢)، تقع فى ربع مرو الشاهجان^(٣)، بين سرخس ونسا، والنسبة إليها الأبيورى^(٤).

ومن ينسب إليها من الفقهاء: شيخ الشافعية أبو سعد عبد الرحمن بن على ابن محمد الأبيورى، تفقه ببخارى، وكان رأساً فى الفقه والأصول، وكان يلقب بشرف الأئمة. ولد بأبيورد سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، وتوفى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م^(٥).

ومن ينسب إليها من اللغويين والأدباء والشعراء والمؤرخين أبو المظفر الأبيورى، محمد بن أبى العباس بن احمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحق، كانت له حسنة معرفة باللغة والنسب، كما كان متبحراً فى الأدب ولذلك تسلم خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد، وبعد وفاة الاسفراينى ت ٤٩٨هـ/ ١٠٠٥م، ثم رحل إلى أصبهان وتوفى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م^(٦).

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ١، ص ١٧٧، ١٧٨، السيوطى: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٠٩.

(٢) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ٧٦، ويذكرها ابن الفقيه "بيورد" انظر مختصر البلدان، ص ٣٧٤.

(٣) قحطان الحديثى: أرباع خراسان الشهيرة، ص ٩١ وما بعدها.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٨.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٧٦، ١٧٧، الأصفهاني: خريدة القصر، ج ٢، ص ٢١٧ وما بعدها، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٥٩ - ١٦٢، السيوطى: بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٧، ٣٨.

وممن ينسب إليها من المحدثين أيضا: الشيخ أبو القاسم الفضل بن محمد العطار الأبيوري، راوى الحديث، توفي بنيسابور سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م^(١).

وممن ينسب إليها من الفقهاء أبو القاسم الأبيوري، هاشم بن علي بن إسحاق ابن القاسم، فقيه فاضل عالم، تفقه على أبي المعالي الجويني، وتوفي بأبيورد سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م^(٢).

وممن ينسب إليها من الفقهاء والمحدثين عبد الله بن ميمون بن عبد الله القاضي أبو محمد المالكاني الكوفني^(٣) الأبيوري، كان فقيها مبرزاً، له باع طويل في المناظرة والجدل، وسماع الحديث وروايته، توفي بأبيورد سنة ٥٥١هـ/١١٥٧م^(٤).

هـ - ميهنة

بالفتح ثم السكون وفتح الهاء والنون^(٥)، وميهنة إحدى قرى خابران^(٦) ناحية سرخس وأبيور^(٧)، وقد نسب إليه جماعة من أهل العلم والتصوف منهم^(٨):
أبو سعيد بن أبي الخير فضل الله بن أحمد بن محمد الميهني الصوفي،
الشيخ الإمام الزاهد، روى عن زاهر بن أحمد السرجسي، وروى عنه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، وتوفي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م^(٩).

(١) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٨٤.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص ٣٢٣، الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٣٧.

(٣) كوفن: قرية من قرى أبيورد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٧، ص ١٦٠.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ١٣٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٥٨.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٥٨.

(٦) خابران: بعد الألف باء ثم راء وأخره نون، ناحية ومدينة بمرو فيها عدة قرى بين سرخس وأبيورد من خراسان ومن قراها ميهنة، وكانت مدينة كبيرة خرب أكثرها. ياقوت

الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٦.

(٧) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٣٣٤.

(٨) ياقوت: معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٥٨.

(٩) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٠٦، ٣٠٧، الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٣٧.

وممن ينسب إليها أيضا: أبو الفتح طاهر بن سعيد بن فضل الله بن أبي سعيد الميهني الصوفي، من بيت التصوف والمشيخة، وكان ذا قدم راسخ في التصوف، وسافر الكثير ولقى الشيوخ، وتوفي سنة ٥٠٢هـ/١١٥٩م^(١).

وممن ينسب إليها من الفقهاء أسعد بن أبي النصر بن الفضل الميهني، وكان إماما كبيرا في الفقه، والخلاف، وتوفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م^(٢).

و - ماهيان:

بفتح الميم، وكسر الهاء، وبعدها ياء منقوطة من تحتها بائنين، وفي آخرها النون^(٣)، من قرى مرو والنسبة إليها الماهياني، كان بها جماعة من المحدثين والفقهاء^(٤) منهم:

- محمد بن أحمد بن الفضل الماهياني، تفقه بمرو، ثم مضى إلى نيسابور، فأقام مدة عند أبي المعالي الجويني وتفقّه عليه وسمع منه ومن غيره الحديث، ثم سافر إلى بغداد وتفقّه بنظاميتها، ثم عاد إلى ماهيان إلى أن توفي سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م^(٥).

- وممن ينسب إليها أيضا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفضل الماهياني، تفقه بمرو وسمع الحديث ورواه وتوفي بماهيان سنة ٥٥٠هـ/١١٥٦م^(٦).

ز - توث

بضم التاء وسكون الواو والتاء مثلثة^(٧) وهي موضوعان الأولى من قرى مرو^(٨)، والأخرى من قرى اسفرايين^(٩)، وكان بتوث اسفرايين شيخ كبير يقال له:

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) الأسنوي: طبقات الشافعية، ص ٣٨٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٨٠.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٦٣.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٣، الأسنوي: طبقات الشافعية، ص ٣٨٤.

(٦) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٦٣، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٧، ص ٢٠٢.

(٧) ياقوت الحموي: المشترك، ص ٨٤.

(٨) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٥١٣.

(٩) ياقوت: المشترك، ص ٨٤.

أبو القاسم على بن طاهر بن محمد التوثي، كان حسن السيرة، سمع الحديث ببغداد، ورواه بتوث إسفرايين، وتوفي بها ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م^(١).

ومن ينسب إلى توث إسفرايين أيضا: الشيخ يوسف بن إبراهيم بن موسى أبو يعقوب التوثي الفقيه من أهل العلم، ت ٥٤٦هـ/ ١١٥٤م^(٢).

ومن ينسب إلى توث مرو من العلماء:

أبو طاهر التوثي المروزي محمد بن أحمد بن محمد بن مداس الخطاب، سمع وحدث، وتوفي سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م^(٣).

ومن الفقهاء والمحدثين محمد بن أحمد بن عبد الله بن منصور التوثي، المروزي، المعروف بفقيه الثوث، كان فقيها، صالحا، عفيفا متزهدا، متقشفا، وكتب الحديث الكثير، وتوفي سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م^(٤).

ح - سنج

بكسر السين وسكون النون وجيم، وأهل مرو يقولون شنك بالشين^(٥)، وهي قرنتان بمرو، وإحدهما يقال لها: سنج عباد، ينسب إليها أبو منصور المظفر ابن أردشير الواعظ العبادي ت ٥٤٧هـ/ ١١٥٥م^(٦)، والأخرى سنج العظمى مدينة كبيرة من أعمال مرو^(٧) منها جماعة وافرة من أهل العلم منهم^(٨):

الشيخ الإمام الحافظ الخطيب، محدث مرو وخطيبها وعالمها، أبو طاهر محمد بن أبي بكر محمد بن عبد الله بن أبي سهل، المروزي السنجي الشافعي

(١) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٥١٣، ٥١٤.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤٠٩.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦، ص ٧٩، ٨٠.

(٥) ياقوت: المشترك، ص ٢٥٥.

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٩.

(٧) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٨) ياقوت: المشترك، ص ٢٥٥.

المؤذن الخطيب، سمع خلقا كثيرا بخراسان والعراق والحجاز وغيرها، كما حدث عنه السمعاني وكان فقيها عارفا، بالحديث، وتوفي ٥٤٨هـ / ١١٥٤م^(١).

ط - خرق:

بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها، قاف، وهي من قرى مرو، بها سوق قائمة، وجامع كبير حسن^(٢)، أخرجت جماعة من أهل العلم^(٣).

ومن ينسب إليها من الفقهاء والمحدثين عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الثابتى الخرقى، تفقه بمرو وبغداد وبخارى، وسمع الحديث، وحدث به، ثم حج وجاور مكة، فأطلق عليه مفتى الحرمين، ثم رجع إلى خرق وسكنها واشتغل بالزهد والفتوى، وتوفي سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م^(٤).

ومن ينسب إليها أيضا: أبو القاسم الخرقى، جال في بلاد خراسان في طلب العلم، ثم رجع إلى خرق وأفاد الناس بعلمه، وتوفي سنة ٤٩٥هـ / ١٠٩٢م^(٥).
ومن الأئمة أبو بكر الخرقى، محمد بن أحمد بن الحسين، تفقه بنيسابور، وأحكم علم الكلام، وسمع وحدث، ثم سكن خرق وأقام على الإفتاء والوعظ إلى أن توفي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م.

ى - كشمهين:

بالضم ثم السكون، وكسر الميم وفتح الهاء، وسكون الياء^(٦)، وفي آخرها هاء، قرية من قرى مرو، خربها الرمل، خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم^(٧). منهم: أبو القاسم الكشمهينى، يحيى بن أبى على بن محمد

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣١، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٥٠.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٤٠١.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٤٩.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٤٩٥.

(٦) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٦٣٠.

(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٧.

الحمدونى، كان فقيها، مدرسا ورعا، وتوفى سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م^(١).

ومن ينسب إليها من الصوفية: أبو الفتح الكشميهنى، محمد بن عبد الرحمن بن محمد المروزى الخطيب، شيخ الصوفية ببلده، روى صحيح البخارى، توفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م^(٢).

٣ - هراة وأهم مدنها وقراها:

أ - هراة

بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء فى الآخر^(٣)، مدينة عظيمة من مدن خراسان، لم يكن بخراسان مدينة أجل ولا أعمر ولا أحسن ولا أكثر خيرا منها^(٤)، وكانت مملوءة بالعلماء وأهل الفضل^(٥).

كانت مدينة هراة من مراكز العلم ومتعصبى الكلام فى العصر السلجوقى، ففى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، حدثت فتنة بين أنصار الشافعى، وأحد المتكلمين، وكان يقودهم أبو عبد الله الأنصارى الهروى، ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وانتهت هذه الفتنة باخلاء الأنصارى عن هراة حتى انتهت الفتنة فأعيد سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م^(٦)، وبعدها أمر الوزير نظام الملك ببناء المدرسة النظامية بهراة وذلك لأصحاب الشافعى^(٧).

ومن ينسب إليها من الفقهاء:

شيخ الشافعية أبو عاصم العبادى محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عباد الهروى، تفقه بهراة وبنيسابور، وكان واسع العلم، وأخذ عنه

(١) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٣٥٢.

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٥٠.

(٣) أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٤.

(٤) القزوينى: آثار البلاد، ص ٤٨١.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٧١.

(٦) ابن رجب الحنبلى: ذيل طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٥٤٦.

(٧) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٨٨.

ولده أبو الحسن العبادي وغيره، سمع الكثير، وحدث، وتفقه، وأفنى كثيرا في الفقه، وتوفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م^(١).

ومن قضاة الحنفية بهراة، والمتسبون إليها أبو القاسم منصور بن إسماعيل بن صاعد بن محمد القاضي، ابن قاضي القضاة أبي الحسن، وكان له الفتوى، والتدريس والخطابة، تولى القضاة مدة، ثم صار قاضي القضاة، وكانت إليه الفتوى في عصره على مذهب أبي حنيفة وتوفي ٤٧٠هـ/١٠٧٧م^(٢).

ومن ينسب إليها من المفسرين والفقهاء: شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري، الهروي، الحافظ، العارف، الفقيه، المفسر، الصوفي، كما كان على معرفة تامة بالعربية، والتواريخ والأنساب، وتوفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م^(٣).

ومن ينسب إليها أيضا: أبو الخير الأصم الهروي، كان من الحفاظ والزهاد المتقين وتوفي سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م^(٤).

ومن ينسب إليها من علماء اللغة: محمد بن إسماعيل بن الفضل الفضيلى الهروي، كان عالما باللغة، سمع أباه وغيره، وروى عنه الناس، وتوفي سنة ٥٣٧هـ/١١٤٣م^(٥).

ومن المؤرخين المحدثين الأدباء عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان الهروي، كان مقدم المحدثين بهراة، له معرفة بالحديث والأدب، ويعرف بمؤرخ هراة، توفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥٢م^(٦).

ب - بوشنج:

بضم التاء الموحدة وسكون الواو، وفتح الشين المعجمة، وسكون النون وفي

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٠٦.

(٢) القرشي الحنفى: الجواهر المضئية، ج٣، ص٥٠٧.

(٣) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص١٣٧، ١٣٨.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٦.

(٥) السيوطى: بغية الدعاة، ج١، ص٥٠.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص١٥٠، ١٥١.

آخرها جيم، وهى بلدة على سبع فراسخ من هراة^(١)، واسمها بالفارسية بوشنك، ويقال لها أيضا فوشنج بالفاء^(٢). وينسب إلى بوشنج خلق كثير من أهل العلم^(٣). منهم عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد، أبو الحسن الداودى البوشنجى، وكان فقيها إماما صالحا زاهدا وارعا، شاعرا أدبيا صوفيا، أخذ عنه فقهاء بوشنج ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م^(٤).

ومن أدباء بوشنج المختارين عبد الحميد بن المنتضى، بن محمد بن على، أبو الفتح الأديب البوشنجى سكن هراة، وكان شيخا عالما أدبيا حسن الحظ، كثير الجمع والتحصيل، جمع تواريخ وفيات الشيوخ، ت ٥٣٦هـ / ١١٤٢م^(٥).

ومن علماء بوشنج وفقهاؤها الإمام أبو سعيد إسماعيل بن عبد الواحد بن أبى القاسم البوشنجى، كان فقيها ومحدثا ومدرسا ومناظرا، دخل نيسابور، وحضر مجالس العلم والمناظرة، فارتضاه الأئمة والفقهاء، نزل مرو وسمع من علمائها، ثم سكن هراة إلى حين وفاته سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٢م^(٦).

ومن ينسب إليها أيضا الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد البوشنجى، تفقه بهراه على أبو بكر الشاشى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، وغيره، وبرع فى الفقه، وروى وحدث عن جماعة مثيرة وتوفى سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م^(٧).

ج - خرجرد:

بفتح الحاء وسكون الراء، ثم جيم مكسورة وراء ساكنة ودال، بلد قرب بوشنج^(٨) ومن ينسب إليها من العلماء: الإمام أبو سعد الخرجردى، إسماعيل بن

(١) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ٤٣٤.

(٢) أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٥.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٢٩٦، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ١١٧.

- ١١٩.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٦) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٤٨ - ٥٠، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب،

ج ٤، ص ١١٢، ١١٣.

(٧) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٧٠.

(٨) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

أبى القاسم عبد الواحد بن إسماعيل، نزيل هراة، سمع وحدث، وسمع منه أبو أسعد السمعاني، المتوفى ٥٦٢هـ/١١٦٦م، بمرو، وسكن هراة، وتوفى بها ٥٣٥هـ/١١٤١م^(١).

ومن ينسب إليها أيضا: أبو بكر الخرجردى، أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن محمد بن إبراهيم بن مسلم بن بشار، تفقه بهراة ومرو، ورحل إلى نيسابور، واشتغل بالعبادة، إلى أن توفى بها سنة ٥٤٣هـ/١١٤١م^(٢).

ومن ينسب إليها من الفقهاء: الفقيه الشافعى، أبو نصر الخرجردى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن منصور الخطيبى، تفقه بهراة على إسماعيل الخرجردى المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤٩م، ورحل إلى نيسابور ومرو، وتفقّه بها، وبرع فى الفقه، وكان يحفظ المذهب، كما قرأ طرفا من الأدب، وأمعن فى حفظ التواريخ والفتوح والملاحم، توفى سنة ٥٤٨هـ/١١٤٦م^(٣).

د - بغشور

باء موحدة مفتوحة والغين المعجمة المفتوحة، وواو مهملة^(٤)، وهى من بلاد خراسان بين مرو وهراة يقال لها بغ وبغشور^(٥)، والنسبة إليها بغوى^(٦)، وينسب إليها جماعة من الأئمة والعلماء^(٧).

الفقيه محمد بن على بن أبى صالح البغوى الدباس، آخر من روى جامع الترمزى وتوفى ببغشور سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م^(٨).

(١) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٣٩٣.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ١٥٤، ١٥٥، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٤٩.

(٤) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٦.

(٥) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٣٩٢.

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٦٩.

(٧) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٣٩٢.

(٨) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٩١.

- وممن ينسب إليها من المفسرين والمحدثين: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى، كان إماماً فى التفسير، والحديث، والفقه، توفى بمرور الروذ سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م^(١).

- وممن كانت لهم الفتوى ببغشور: المفتى أبو على الحسن بن مسعود، وتوفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م^(٢).

- من المقرئين الذين ينتسبون إلى بغشور: الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البغوى المقرئ الصوفى، توفى بهرة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م^(٣).

هـ - إسفزاز:

بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وفتح الزاء المعجمة وفى آخرها راء مهملة بعد الألف^(٤) وهى بين هراة وسجستان^(٥)، وهى مدينة من نواحي خراسان من جهة هراة^(٦)، خرج منها جماعة من أهل العلم منهم: أبو القاسم الأسفزازى، منصور بن أحمد بن الفضل بن نصر بن عصان المنهاجى، كان فقيها ورعا حين السيرة، من أصحاب الإمام أبى المظفر السمعانى، المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، رحل فى طلب العلم فسمع ببغشور، وغيرها، وخرج إلى العراق وسكن بناحية الجبال عند همذان، ورحل إليه طلبة العلم، وقتل على باب جامع همذان بعد سنة ٥١٠هـ/١١١٦م^(٧).

وممن ينسب إليها أيضا: أبو العز الأسفزازى، ولد بأسفزاز، ونشأ ببلاد

(١) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٠٦.

(٣) الذهبى: نفسه، ج ٣، ص ٥٣.

(٤) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٥) سجستان: بكسر أوله وثانيه، وسين أخرى مهملة، وتاء مثله من فوق، وآخره نون، وناحية كبيرة وولاية واسعة وبينها وبين هراة عشرة أيام وهى جنوب هراة، وينسب إليها جماعة من أهل العلم والفضل ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٣، ٢٤.

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ١١٤٦.

(٧) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ١٥١.

خراسان، وكان أحد المشاهير، فصيح اللهجة، حلو الكلام، كان من علماء الصوفية سمع وحدث بنيسابور، وتوفى بعد ٥٤٠هـ/١١٤٦م^(١).

و- كروخ

بفتح الكاف وضم الراء المهملة ثم واو وفي آخرها خاء معجمة^(٢)، وهى بلدة بنواحي هراة^(٣)، بينها وبين هراة عشرة فراسخ، وهى بلدة مشتبكة البساتين والمساجد والقرى والعمارة^(٤)، خرج منها جماعة من أهل العلم والخير منهم^(٥):

- أبو الفتح الكروخى، عبد الملك بن عبد الله بن أبى سهل، راوى جامع الترمزى، وكان بعيش من النسخ، وتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م^(٦).

- وممن ينتسبون إليها أيضا: أبو داود الكرخى، سليمان بن محمد الصوفى، وكان حافظا للقرآن، كثير القراءة، كثير الرحلة، كان برقة أبو سعد السمعانى ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م وخرج من حلب إلى دمشق، سنة ٥٣٦هـ/١١٣٢م^(٧).

٤ - بلخ وأهم مدنها وقراها

أ - بلخ

بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها الخاء المعجمة^(٨)، وبلخ من أجمل مدن خراسان وأكثرها خيرا^(٩). ولقد عني بها السلاجقة، فعمروها وبنوا فيها المساجد، وشيدوا فيها القصور، وأسس فيها نظام الملك، المدرسة النظامية،

(١) السمعانى: نفسه.

(٢) أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٨.

(٣) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٦١٥.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٣٥.

(٥) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٦١٥.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١، ص ١٥٤، ١٥٥. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٤٨.

(٧) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٦١٦.

(٨) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ٤٠٧، أبى الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٦٠.

(٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٨.

وعهد بالتدريس فيها لأبى القاسم عبد الله بن طاهر بن محمد بن شهور التميمي، ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م وكان إماما في الفروع والخلاف والأصول^(١). وينسب إليها الكثير من العلماء والأئمة والمحدثين^(٢) ومنهم:

- الحسن بن على بن محمد البلخي، طاف في بلاد الإسلام لطلب الحديث، وتوفي سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م^(٣).

- ومن ينسب إليها أيضا: أحمد بن محمد، الشجاعى، الإمام، أبو حامد البلخي، توفي سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م^(٤).

- ومن ينسب إليها من فقهاء الحنفية، العلامة، شيخ الحنفية ببلخ، أبو الحسن على بن أحمد بن على البلخي، سمع وحدث بصحيح البخارى، وتوفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م^(٥).

- ومن فقهاءها أيضا: الفقيه الحنفى، أبو الحسن على بن الحسن بن محمد البلخي، تفقه ببخارى، ورحل إلى دمشق وسكانها، وكان فقيها فاضلا، وكان مشغلا بنشر العلم، ت ٥٤٧هـ/ ١١٥٣م^(٦)، قيل توفي بدمشق ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م^(٧).

ب - طخارستان:

بفتح الطاء المهملة وفتح الخاء المعجمة، وبعدها الألف وضم الراء، وسكون السين المهملة، وفتح التاء المعجمة باثنين من فوقها، وفي آخرها نون^(٨)، ويقال لها: طخيرستان، وهى ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهى من نواحي

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٦٣. محبوبة: نظام الملك، ص ٣٨٩.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٤٠٧.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٠١.

(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج ١، ص ٣٢٣.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٦٣.

(٦) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٥٦٣.

(٧) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٩.

(٨) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص ٣٣.

خراسان، وهى طاخريستان العليا والسفلى^(١)، ومن مدن طاخريستان الطالقان وهى أكبر مدنها، ورواليز وأندرابه^(٢)، خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء فى كل فن،^(٣) منهم:

وكان قاضى القضاة بطاخريستان، أبو المحاسن خالد بن عبد الجبار الطالقانى الطخارستانى، أقام بطخارستان، وعاد إلى بغداد للحج فى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م^(٤).

ج - الطالقان:

بفتح اللام والقاف وألف ونون^(٥)، مدينة بخراسان بين مرو الروذ وبين بلخ فيما يلى الجبل^(٦)، والطالقان أكبر مدينة بطخارستان بلخ^(٧)، خرج منها جماعة من العلماء^(٨)، منهم محمد بن محمد بن محمد الطالقانى الصوفى، حدث وروى عنه العلماء ت٤٦٦هـ/١١٧٣م وقيل فى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م^(٩).

- ومن فقهاء الشافعية: أبو المظفر الطالقانى، منصور بن محمد بن على، نزيل مرو، وتفقه على الإمام أبى المظفر السمعانى ت٤٨٩هـ/١٠٩٦م وغيره، وروى عنه أبو سعد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م، وغيره وتوفى الطالقانى سنة ٥٢٩هـ/١٠٣٥م^(١٠).

ومن فقهاء الشافعية أيضا أبو حفص الطالقانى، رحل وسمع كثيرا وحدث،

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٦، ص٢٥٢.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٤.

(٣) السمعانى: الأنساب، ج٤، ص٣٣.

(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضببة، ج٢، ص١٦٣.

(٥) ياقوت: المشترك، ص٢٩١.

(٦) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٤٥٩.

(٧) الأصبخى: المسالك والممالك، ص١٥٦.

(٨) السمعانى: الأنساب، ج٤، ص٧.

(٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٦، ص٢٤٠.

(١٠) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص٣٠٦.

حتى صار معيدا بنظامية بلخ، وكان فقيها متكلماً، أصولياً، وتوفى سنة ٥٣٦هـ/١٠٤٢م^(١).

ومن فقهاء الحنفية بالطالقان أبو المظفر الطالقاني، إسماعيل بن عدي بن الفضل بن عبيد الله، الأزهرى، جال في أكناف خراسان طالباً للعلم، وخرج إلى بلاد ما وراء النهر، وتفقه بها، فصار فقيها فاضلاً، مفتياً، توفى سنة ٥٤٠هـ/١٠٤٦م^(٢).

د - اندرابية^(٣):

بفتح الهمزة وسكون النون ودال مهملة مفتوحة وراء وأخرها هاء موحدة^(٤)، وهى من بلاد خراسان من نواحي بلخ، بين غزنة وبلخ^(٥)، واندرابية مدينة حسنة وبها تذاب الفضة التى تنقل من جبل الفضة، خرج منها جماعة من أهل العلم^(٦)، منهم أبو عبد الله الاندراى، أحمد بن أبى عمر المقرئ المعروف بأحمد الزاهد، كان شيخاً زاهداً، عالماً بالقراءات، له التصانيف الحسنة فى علم القراءات، سمع الحديث من صحيح مسلم، ورواه، وروى عنه جماعة، وتوفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م^(٧).

هـ - الجوزجان "جوزجانان"

وهما واحد بعد الزاى جيم وفى الثانية نونان، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهى يسن مرو والروذ وبلخ^(٨)، والنسبة إليها جوزجاني^(٩)،

(١) الأسنوى: طبقات الشافعية، ص ٢٧٥.

(٢) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج ١، ص ٤٢٢، ٣٢٤.

(٣) أندرابية "اندراى": قرية أخرى من قرى مرو، وللسلطان سنجر السلجوقى بها منازل وقصور، ينسب إليها جماعة، منهم أحمد الكرايسى الاندراى، السمعانى: الأنساب،

ج ١، ص ٢٥٥، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٨.

(٤) ياقوت الحموى: المشترك، ص ٢٩.

(٥) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

(٦) السمعانى: الأنساب، ج ١، ص ٢٢٥.

(٧) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٩٣.

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٠.

(٩) السمعانى: الأنساب، ج ٢، ص ١٤٧.

وعاصمتها اليهودية^(١)، ومن مدنها الفارياب والأنبار وشبرقان^(٢)، خرج منها جماعة من العلماء.

وهكذا كانت المدن العلمية ذات أثر واضح في النهضة العلمية التي شيدها إقليم خراسان، وأقاليم العلم الإسلامي، نظرا لاهتمام الحكام والمحكومين بالعلم والعلماء، مما أدى إلى تسيد الحضارة الإسلامية التي لم تفرق في يوم من الأيام بين عربي وأعجمي ولا سني ولا شيعي، ومسلم وغير مسلم، مما جعلها صاحبة السيادة على كل الحضارات في ذلك الوقت.

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٠.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص ١١٦.

ثانياً: المؤسسات العلمية فى إقليم خراسان

بعد أن عرضنا المراكز العلمية التى كانت المراكز الأساسية للحركة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، فقد ظل إقليم خراسان ومدنه وقراه مركزاً أساسياً من مراكز الحركة الفكرية، مما كان له الأثر فى قيام العديد من مؤسسات التعليم التى خرجت العديد من العلماء والمفسرين والفقهاء والأدباء والشعراء، وغيرهم مما كان لهم دورهم فى نشر جميع أنواع العلوم والمعرفة، وذلك عن طريق نتاجهم العلمى الضخم الذى تجلّى فى العصر السلجوقى.

١ - الكتاتيب:

كانت الكتاتيب فى الإسلام مكاناً يتعلم فيه الصبيان الكتابة والقراءة إلى جانب القرآن الكريم^(١)، كما عنى معلمو البنات بتحفيظهن القرآن،^(٢) ويقول ابن خلدون^(٣) فى تعليم الصبيان "اعلم أن تعليم الوالدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب فى رسوخ الأيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم القرآن للولدان باختلافهم فى اعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات".

ويوصى الغزالى^(٤) "بأنه على الصبى أن يتعلم فى الكتاب، القرآن وأحاديث

(١) أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام، دار المعارف، ط٦، بدون، ص ٧٨. أحمد رمضان أحمد: حضارة الدولة العباسية، ط ١، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٣٥.

(٢) شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الثانى، دار المعارف، ط ٢، بدون، ص ١١٥، محمد عطية الأبراشى: التربية فى الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص ٤٦.

(٣) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسى، أ.م. كاترمير، ٣ مجلدات، طبعة باريس، ١٨٥٨م، مكتبة لبنان، بيروت، مج ٣، ص ٢٦٠.

(٤) الغزالى: أبو حامد محمد ت ٥٠٥هـ/١١١١م، إحياء علوم الدين، ٥ أجزاء، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، بدون، ج ٣، ص ٧٨.

الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله".

ولقد عرف المسلمون نوعين من الكتاب الأول: الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالباً في منازل المعلمين، والثاني الكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي^(١).

وفي الحقيقة أن الكتاب كان له دور بارز في تعليم الصبيان القرآن وغيره من العلوم الأخرى، حيث أن المؤسسة العلمية الأولى الذي هيأت للطلاب أسباب العلم والمعرفة^(٢) كما كان الكتاب هو المرحلة التمهيدية التي تهيئ الصبيان لمرحلة الدراسة التالية في المساجد وحلقات الشيوخ التي كانت تقوم بدور بارز في التعليم منذ صدور الإسلام^(٣).

كان معلمو الكتاتيب الخاصة يسمون المؤدبون ويحظون بمكانة طيبة، بخلاف معلمى الكتاتيب الذين حرموا من تلك المنزلة^(٤).

وقد ظهر في كتاتيب خراسان بعض المعلمين "المؤدبين" الموهوبين الذين لمعوا في المجتمع الإسلامي من أشهرهم:

أبو علي الشرمقاني الحسن بن الفضل المؤدب، المقرئ، كان أحد حفاظ القرآن العالمين، كما كان يحفظ الصبيان قراءة القرآن، وتوفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م^(٥).

(١) عبد الله عبد الدايم: التربية في التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين)، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص١٤٦.

(٢) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص٢٥١.

(٣) رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق، ص٢٦١، على بن محمد بن سعد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، (٢١٢ - ٤٨٤هـ/٦٢٨ - ١٠٩١م) جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٥٥.

(٤) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، مستقاة من "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ترجمة وتلخيص، وتعليق د. سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٤٠١هـ/١٩٨٧م، ص٥٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٢١٢، ٢١٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٩١، ٩٢.

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتأديب، عبد الله بن أحمد بن الحسين الشاماتي الأديب، وكان يعلم الصبيان الأدب والشعر، ويشرح الدواوين الشعرية، وغير ذلك من الشروح، ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م^(١)

ومن المؤدبين أيضا: أبو الفضل العباس بن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الشقاني الحسني: من أهل نيسابور، كان فقيها محدثا، انفق عمره في الكتابة، وسمع الحديث، وتأديب وإفادة الصبيان والشبان، توفي سنة ٥٠٦هـ/ ١١٠٣م^(٢).

والمؤدب تميم بن أبي سعيد بن العباس، مسند هراة أجاز للسمعاني، وروى عنه طائفة، وكان يفيد الطلاب والعلماء حتى ٥٣٠هـ/ ١١٢٧م^(٣).

وكانت هناك كتاتيب للإناث، فكانت الشيخة المقرئة الصالحة، والمعمرة، أم الخير فاطمة بنت زعل على بن مظهر بن الحسن البغدادية، ثم النيسابورية ولدت ٤٣٥هـ/ ١٠٣٢ - ١١٣١م^(٤).

٢ - المساجد

يعتبر المسجد أهم المؤسسات العلمية الإسلامية، منذ الفتح الإسلامي لإقليم خراسان، ولذلك عني الخلفاء والأمراء والقادة الفاتحون ببناء المساجد، حيث كان الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٣ - ٧١٣م)، شديد الكلف بالعمارات والأبنية، خاصة المساجد^(٥)، وزادت عمارة البلاد في العصر العباسي، وكذا في عصر الدويلات المستقلة التي حكمت خراسان، خاصة العصر السلجوقي^(٦)،

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٤) الذهبي: نفسه، ص ٥٣٨، ٥٣٩.

(٥) ابن طباطبا: الفخرى في الأدب السلطانية، ص ١٢٧.

(٦) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي أصول فلسفته، ومدارسه، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٢١٢.

وعمارة المساجد من أهم الأعمال التي ترضى الله سبحانه وتعالى^(١)، "قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٢) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٣)".

وقد استعملت المساجد كمؤسسات للتعليم^(٤)، وكان من يريد أن يكمل تعلمه بعد الكتاتيب عليه الذهاب إلى حلقات المساجد، وكان أشبه بمؤسسات عليا، فلم تكن فقط دورا للعبادة، بل كانت أيضا دورا بل جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى^(٥)، وكان على العالم إذا تعددت الدروس في هذه الفروع أن يقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم النحو وغيره من العلوم الأدبية^(٦)، لكي تساعد على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وكان بعض القراء والمحدثون يفتحون مجالس دروسهم بإنشاء الشعر ويختمونها به^(٧).

وقد لقيت فكرة التدريس في المساجد قبولا من فقهاء المسلمون لأن العلوم الدينية كانت أساس التعليم، ولما كانت الدعوة الدينية دعوة تعليمية تتطلب وجود طبقة متعلمة تتحمل عبء الدعوة، وتتمتع بقوة الحجة والمقدرة على الإقناع، ولذلك أصبح المسجد أفضل مكان لتأدية تلك المهمة الحيوية^(٨)، غير أنه لما استجذبت كثير من العلوم في الدولة الإسلامية لم يعد التدريس في المساجد مقصورا على العلوم الدينية بل وجدت العلوم العقلية والفلسفة، والمنطق طريقها

(١) على عبد الحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٢٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٧ - ١٨.

(٣) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص ١٢١.

(٤) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص ١١٧.

(٥) ابن جماعة: بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الكنانى، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ص ٣٦، ٣٥.

(٦) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عن المسلمين، ص ٥١.

(٧) محمود عبد الحليم: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، ص ٥ - ١٣.

إلى المساجد، وأصبح مكانا للتدريس بصفة عامة يتعلم فيه الناس القرآن وتفسيره، ويدرسون اللغة العربية والأدب والشعر، ويجتمع فيه المفكرون والعلماء من زعماء الفرق الدينية للنقاش^(١)، والمناظرة الفقهية^(٢)، فقد كان الوزير نظام الملك يشرف بنفسه على هذه المناظرات ويشجعها، بل ويشترك فيها كما حدث عندما زار مدينة هراة وشارك في المناظرة التي حدثت بين أنصار الشافعية والحنابلة وبين أبو عبد الله الأنصاري الهروي ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م، في جامع هراة^(٣).

واشتهر إقليم خراسان بكثرة مساجده، وتدلنا كتب الرحالة والجغرافيون والمؤرخون على كثرة هذه المساجد، ودورها في الحياة الفكرية.

ومن هذه المساجد: مسجد أبي عبد الله الخبازي ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، بنيسابور الذي كان يذهب إليه أبو المعالي الجويني ت ٧٤٨هـ/١٠٨٥م، قبل بدء الدرس، لكي يقرأ القرآن على الخبازي^(٤).

ومن أشهر المساجد بنيسابور أيضا: مسجد المطرز، وكان يعقد فيه المجالس العلمية، ومن التلاميذ الذين كانوا يحضرون هذه المجالس أبو القاسم القشيري ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، وكان أستاذه هو أبو علي الدقاق ت ٤٠٥هـ/١٠١٣م^(٥)، وأصبح للقشيري مجلس بالمسجد، ومن حضر مجلس القشيري محمد بن الفضل بن أحمد النيسابوري، ت ٥٣٠هـ/١١٠٩م، وأصبح التلميذ إمام فكان إمام المسجد، وعقد له مجلس الإفتاء يوم الأحد من كل أسبوع، وله مجالس الوعظ المشهورة بالنصح^(٦).

(١) حسين أمين: المدرسة المستنصرية، مقال منشور بمجلة المعهد العلمي العراقي، مج ٢٤، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٧ - ١٢.

(٢) سبط بن الجوزي: مخطوط مرآة الزمان، ورقة ١٢٨.

(٣) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٥٤.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١٧٠.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٣٠.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٦٦ - ١٦٨.

ومن المساجد أيضا: الجامع المنيعي^(١) بنيسابور، وكان خطيب هذا الجامع هو أبو عثمان الصابوني ت ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، ثم خلفه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وولى الخطابة بعده عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ت ٤٩٤هـ/ ١٠٠١^(٢)، وبذلك صار الجامع المنيعي أشهر جامع بنيسابور في ذلك الوقت^(٣).

ومن جوامع خراسان:

- جامع مرو الروز، وبناه حسان المنيعي أيضا^(٤).

- جامع هراة، وكان إمام الجامع وخطيبه، الشيخ أبو الفضل بن محمد بن إسماعيل، الأنصاري الهروي الشافعي، ت ٥٣٤هـ/ ١١١٣م، وكان يملئ الحديث بالجامع، وقد أجاز السمعاني^(٥).

- جامع بلخ، وكان إمام الجامع وخطيبه أبو بكر محمد بن البلخي الحنفي ت ٥٤٧هـ/ ١١٨٤م، وكان متقدما على أصحاب أبي حنيفة، وكان مناظرا حسن الأخلاق، مفتيا، وكان يملئ بالجامع^(٦).

- ومن أشهر جوامع نيسابور: جامع نيسابور، وتولى الخطابة والإمامة به مجموعة من أشهر علماء خراسان منهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني الشافعي، الذي تولى الخطابة به، وتوفي ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م^(٧).

(١) ينسب إلى حسان بن سعيد بن حسان المنيعي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، وكان حسان هذا تاجرا حتى أصبحت لديه ثروة طائلة، ثم أعرض عن الدنيا واشتغل بالعلم، وسمع الحديث، وأخذ في بناء المساجد، وكان السلطان ألب أرسلان يتبرك به، وكان يمشى من بيته إلى المسجد ويلبس الغليظ من الثياب، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧٠.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٢٢٥، ٢٢٨.

(٣) السبكي: نفسه، ج ٤، ص ٣٠٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧٠.

(٥) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٥٣، ٥٥٢.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٥٠.

(٧) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٥٨.

- ومن تولى الخطابة بجامع نيسابور أيضا، أسعد بن صاعد الحنفي، وكان من بيت العلم والقضاء والخطابة والتدريس، وكانت إليه الخطابة والتدريس بالجامع، وتوفي بنيسابور سنة ٥٢٧هـ/١١٦٤م^(١).

- ومن تلاميذ جامع نيسابور عبد الجبار بن محمد أحمد الشافعي، وتفقه على إمام الحرمين بالجامع إلى أن صار مفتي وإمام جامع نيسابور، وتوفي سنة ٥٣٦هـ/١١٧٣م^(٢).

وكان يملئ بجامع بنيسابور كل يوم جمعة أيضا: مسند خراسان وجيه بن طاهر الشحامى النيسابورى، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٩م^(٣).

- ومن مساجد خراسان: مسجد عقيل، وكان الأستاذ أبو اسحق الاسفرائينى ت ٤١٨هـ/١٠٠٥م، قد عقد أول إملاء له بهذا المسجد عندما زار نيسابور^(٤).

ومن جوامع مرو: الجامع الأقدم وكان الحافظ الإمام محدث مرو وخطيبها أبو طاهر محمد بن عبد الله بن أبي سهل المروزي على الخطابة فى الجامع الأقدم ومن تلاميذه عبد الرحيم بن أبي سعد المروزي، الذى كان يذهب إلى الجامع مع والده لسماع الحديث منه فسمع مع والده من خطيب الجامع الأقدم "صحيح مسلم" والنسائي، والأحاديث الألف المظفر لأبى السمعانى جد عبد الرحيم، وتوفي خطيب جامع الأقدم سنة ٥٤٨هـ/١١٥٦م^(٥).

٣ - المدارس

كانت المدارس، وما تزال من أكبر المؤسسات التعليمية والثقافية، التى نبتت فيها الكثير من العلوم والأصول الفقهية والأدبية، وعملت على تخريج طبقة مثقفة بثقافة عربية إسلامية، بل لا نبالغ إذا قلنا أن مدارس العصر السلجوقى

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ٣١، ٣٢

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤، ١١٣

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٦٠.

(٤) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٥) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٣١٢

خاصة "المدارس النظامية" كانت بداية التنظيم المدرسى والجامعى فى الإسلام بل والعلم كله^(١).

ولقد كان الناس يتلقون العلم فى المسجد، والبيت والسفر، وغيره من تلك المؤسسات، ولم يطلع القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى، حتى انتشرت المدارس الأهلية فى عواصم الأقاليم الشرقية^(٢)، ومنها إقليم خراسان

وكانت هذه المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة^(٣)، وذلك أن المسجد لم يكن يحسن تخصيصه للتدريس بما يتبعه من مناظرات وجدال قد يخرج بأصحابه أحيانا عن الأدب الذى يجب مراعاته للمسجد^(٤) على أن المسجد كان المكان المفضل للتدريس حتى بعد إنشاء المدارس^(٥).

وفى العصر السلجوقى، اهتم السلاطين والوزراء بإنشاء المدارس، خاصة الوزير "نظام الملك الطوسى" (٤٥٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢ م)^(٦)، الذى بنى المدارس النظامية^(٧)، هذه المدارس التى أنشأها وبثها فى أمهات المدن وحملت اسمه، وكلما وجد فى بلد أو إقليم من تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيها دار كتب^(٨)، ولما كان نظام الملك شافعى المذهب^(٩)، فقد سلم منابر التدريس فى المدارس النظامية إلى علماء الشافعية^(١٠)، ولم يكن

(١) محمد عبد العظيم: نظم الحكم، ٤٩١.

(٢) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٦٤.

(٣) أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص ١٢١.

(٤) آدم متر: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (عصر النهضة فى الإسلام)، تحقيق د. محمد عبد الهادى أبو ريذة، أعد فهارسه رفعت البدراوى، مجلدان، مكتبة الخانجي، ط ٤، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، مج ١، ص ٢٣٦.

(٥) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٦٨.

(٦) الذهبى: دول الإسلام، ج ١، ص ٤١٧.

(٧) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٤٢، ١٤٩، P. Bernard: The Arabs In History,

(٨) البندارى: آل سلجوق، ص ٥٩، نظام الملك: سياسة نامة، المقدمة، ص ٥.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥١.

(١٠) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٥٤، صفية سعادة: تطور منصب قاضى القضاة، ص ١٠٧.

الإقبال على تلك المدارس قاصرا على الطلاب بل والعلماء^(١)، ولم يكن يسمح لأحد من طلبة المدارس بالانتظام بها ما لم يكن له نصيب وافر من مختلف العلوم والفنون^(٢). فقد كان التدريس بها يشمل مختلف العلوم النقلية، كالقرآن، والتفسير، والحديث، والفقه وأصوله على المذهب الشافعي، كذلك علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة وغيرها^(٣)، كما عُنيت المدارس النظامية بالعلوم العقلية، كالرياضيات، والطب، والصيدلة^(٤).

هذه المدارس النظامية، أصبحت نموذجا يقتدي به مؤسسوا المدرسة العلمية، ومن تلك المدارس النظامية نظامية نيسابور، ونظامية مرو، ونظامية هراة، ونظامية بلخ، ونظامية طوس^(٥). هذه المدارس التي أخرجت لنا كوكبة كبيرة من العلماء، ويرجع الفضل في ذلك إلى الوزير السلجوقي نظام الملك، ولكن قبل الحديث عن هذه المدارس ومدرسيها وعلماءها، لنا أن نتساءل ما هي الأسباب التي دفعت نظام الملك إلى بناء هذه المدارس؟

أ - الأسباب التي دفعت نظام الملك إلى بناء المدارس النظامية:

أولا: لقد كان الدافع الرئيسى وراء تأسيس المدارس النظامية، كان سياسيا مذهبيا، لقد كان نظام الملك شافيا أشعريا حريصا على مذهبه، وعاصرت نظام الملك أفكار وآراء متباينة مختلفة كانت منتشرة في العالم الإسلامي، كالمعتزلة والإسماعيلية (الباطنية الشيعية) وغيرهم، وكان نظام الملك يرمى بدرجة كبيرة إلى توجيه الرعاية وجهة تخدم مصلحة الدولة وتبعث على الاستقرار والأمن، وكذلك شن حربا لاهوادة فيها على أتباع المذاهب الأخرى، ولذلك أكد

(١) عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري، ص ١٨٦.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٦٦. مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص ٢٧٦.

(٤) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، ص ٥٦٨.

(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٧٩، ٣٩٠.

على أن يدرس الفقه وأصوله الشافعية فى مدارس فقط، وكان من شروط النظامية أن يكون المدرس من الشافعية أصلاً وفرعاً^(١).

ثانياً: مقاومة الفكر الشيعى وخاصة الإسماعيلية (الباطنية) الذين اعتبرهم نظام الملك مرتدين يحاولون هدم الإسلام، مستحثاً السلطان على قتلهم وإبادتهم^(٢)، وحمل نظام الملك لواء الحرب على الشيعة وشن عليهم حرباً لاهواردة فيها، وكان التعليم من أهم الوسائل التى اعتمد عليها فى محارب التشيع، واستفحال خطر الباطنية فى العصر السلجوقى، ولقد أدرك نظام الملك هذا الخطر على مستقبل الدولة السنية، فكان لابد وأن يقوم بحركة قوية تناهض الحركات الشيعية عامة، والباطنية خاصة، حفاظاً على كيان الدولة، وتوجيه رعيتهما وجهة تتفوق ومصالح حكامها، لذا قام بإنشاء هذه المدارس النظامية^(٣).

ثالثاً: إمداد الدولة بنبذة من الموظفين من قضاة، وكتاب، وعمال ومدرسين، يتخرجون من مدارس منهجية، يتفهمون عقائد الدين الرسمى للدولة، ويتعودون على الطاعة والنظام ضمن مناهج الدراسة، وبذلك ضمن نظام الملك الموظفين الأكفاء الذين يطيعون أوامره ويطبقون قوانين الدولة بنزاهة وإخلاص^(٤).

(١) حسين أمين: المدرسة النظامية من مظاهر الحضارة الإسلامية ببغداد، مقال بمجلة كلية التربية، بغداد، مج ١٠، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ٢٣٣، محمد عبد العظيم: نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص ٤٩١.

(٢) نظام الملك: سياسة نامة، ٢٦٢ - ٢٨٢.

(٣) رسول جعفریان: الشيعة فى إيران دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجرى، تعريب على هاشم الأسدى، ط ١، طبعة مؤسسة الطبع للأساتذة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٠ق، ١٣٧٨ش، ص ٣١٠، ٣١١، حسين أمين، تاريخ العراق، ص ٢٢٣.

(٤) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص ٢٣٣، بدوى: التاريخ السياسى، ص ١١٥.

وقد تحقق ذلك، فقد انتشر طلاب المدارس النظامية فى العالم الإسلامى وتولوا الوظائف المختلفة، فيقول الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وهو من أوائل مدرسى المدرسة النظامية ببغداد، وقضى سبعة عشر عاما يدرس فيها يقول إنه لما توجه برسالة الخليفة المقتدى إلى خراسان "ما دخلت قرية أو بلدة فى خراسان إلا وكان قاضيهما أو خطيبها أو فقيهها من تلاميذى، أو أصحابى" (١).

رابعاً: تدعيم العقيدة الأشعرية، فقد كان نظام الملك شافعيًا أشعريًا متحمسًا للأشاعرة، لذلك أنشأ المدارس النظامية فى أمهات مدن المشرق الإسلامى، وخاصة بغداد وخراسان، وذلك لنشر المذهب الشافعى عمومًا، والعقيدة الأشعرية خصوصًا، حتى إنه كتب اسم أبى الحسن الأشعري على جميع أبواب المدارس النظامية (٢).

وهكذا كانت السياسة فى تأسيس المدارس النظامية تهدف إلى تقوية المذهب الشافعى والمعتقد الأشعري بوجه خاص، وهو المذهب الذى أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن أفكار أهل السنة، ومحاربة الأفكار الشيعية، وتخريج دفعات من الطلبة المثقفين المتشبعين بفكرة الدولة السلجوقية وبمبادئ المذهب الشافعى، وتعيين أولئك الخريجين بالوظائف الرسمية كقضاة وكتاب وخطباء، ومدرسين وغيرها من الوظائف الأخرى، وقد نجحت فكرة نظام الملك وأدت مدارسها واجبها، وكانت بها نتائج بعيدة فى تقوية المذهب الشافعى، كما خدمت الثقافة العربية الإسلامية خدمة طيبة، حيث، تخرج فى تلك المدارس الكثير من الطلاب النابغين من الذين كان لهم شأن كبير فى تطور الحركة الفكرية.

وعمل نظام الملك على إنشاء وتأسيس أكبر عدد من المدارس، حتى قيل أن له بكل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة، فى بغداد، والبصرة، والموصل، وأمل، نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وأصبهان (٣)، حتى أن جزيرة بن عمر التى هى

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص ٢٢٠.

(٣) اسبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٤.

فى زاوية من الأرض بنى بها مدرسة^(١). وحملت هذه المدارس كلها اسم مؤسسات فعرفت بالنظاميات والتي اعبر العصر السلجوقى بفضلها عصر انطلاقه الحركة المدرسية فى الإسلام^(٢). وقد اتفقت المدرسة مع المسجد من حيث وظيفتها التعليمية والغرض منها، إلا أنها اختلفت من حيث إنها أكمل وأوفى بأغراض الدراسة المتصلة بها، ولسكنى الطلاب المنقطعين للعلم، فكانت المدرسة عبارة عن دار كبيرة ذات غرف للدراسة، ولإقامة الطلبة^(٣).

ب - تعيين المدرسين وفصلهم ونظام التعليم والتدريس فى النظاميات

كان اختيار الأساتذة للتعليم فى النظاميات يجرى وفق تقاليد تشبه أرقى الجامعات الحديثة، فقد كان نظام الملك يختبر معلوماتهم خلال المناظرات التى كان يعقدها فى المناسبات المختلفة، ويلقى عليهم أسئلة كان قد فكر فيها وأعدّها، فإذا لمس فى أحدهم علما وذكاء وجهة إلى المسلك الذى يريده، فالذين يكونون أهلا للتعليم عينهم أساتذة فى الحال، وأسس لهم مدرسة ومكتبة، أو يوفدهم إلى ولاية للتدريس فيها^(٤).

١ - درجات المدرسين فى المدارس النظامية:

لقد اتبع نظام الملك نظاما بديعا لدرجات التدريس فى مدارسه وهو يكاد يقرب من نظامنا الحالى فى جامعات عالمنا اليوم، فقد كانت درجات المدرسين هى:

المدرسون:

ويحدد القلقشندي وظيفة المدرس "بأنه هو الذى يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من تفسير وحديث، وفقه ونحو وصرف وما إلى ذلك".^(٥) والحقيقة التى

(١) البندارى: آل سلجوق، ص ٥٣: ٥٥.

(٢) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٧٤.

(٣) حسين أمين: المدرسة المستنصرية، ص ٢٠.

(٤) سعد طلسى: نظامية بغداد، باريس، ١٩٣٩م، ص ١٤: ١٦.

(٥) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٤.

فرضها نظام الملك هي أن المدرسين في العادة: لا يختارون لمنصب التدريس إلا من كانت له به شهرة سابقة، ومكانة علمية مرموقة تؤهله لهذه المهمة العلمية الجليلة^(١).

المعيدون:

والمعيد دون المدرس، وأرقى درجة من عامة الطلبة، وهو الذي يعيد المدرس بعد إلقاء المدرس المحاضرة على الطلبة، كأنه معين الشيخ على الطلبة، وقد ظهرت هذه الوظيفة في القرن الخامس الهجري حيث لم يعثر على اصطلاحها الوظيفي قبل هذا التاريخ^(٢)، وهو وظيفة ظهرت بعد تأسيس النظاميات وكانت ذات علاقة وثيقة بوظيفة المدرس المسئول عن الدرس وتحضير المادة، وترتيب المنهج، ويساعده المعيد^(٣).

وهناك كثير من النابغين من طلاب النظاميات الذين عينوا في وظيفة معيدين في المدرسة نفسها، فعلاء الدين أبو الحارث أرسلان قدم بغداد، وسكن النظامية، واشتغل ودأب في علوم الفقه، ورتب معيدا بها، ثم عين مدرسا للنجو وخازنا للكتب^(٤)، وكان يشترط في المعيد أن يكون شافعيًا أصلاً وفرعاً^(٥).

وهكذا كان بإمكان المعيد أن يرقى إلى درجة (مدرس) فجمال الدين أبو إسحاق الشيرازي ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، رتب معيدا في حلقة الشيخ أبي الطيب الطبري ثم أصبح مدرسا للفقه في المدرسة النظامية^(٦)، ولم يكن هناك سن معين أو نظام معين لإحالة المدرس إلى التقاعد، فقد استمر الكثيرون منهم يدرسون حتى

(١) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٣٢.

(٣) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص ٢٣٩.

(٤) ابن الفوطي: عبد الرازي بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابوني (ت ٧٣٢هـ/ ١٢٢١م)، تلخيص مجمع الآداب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٢١٨٩، ميكروفيلم رقم ٢٤٨١، ورقة ٢٠٦.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٦٦.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١ ص ٢٩ - ٣١، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٤٩.

يوم وفاتهم، فالشيخ أبو إسحاق الشيرازي "بلغ من العمر الثلاث والثمانون سنة، وهو يدرس في المدرسة النظامية ببغداد^(١).

وظيفة الواعظ:

كان القصد من الوعظ الإرشاد نحو اتباع الأخلاق الحسنة والآداب الطيبة، وكان الواعظ يجلس للوعظ بعد أوقات الصلاة، ومن أشهر الوعاظ بالنظامية الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام زين الإسلام أبو القاسم القشيري النيسابوري ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م، والذي كان له مجلس وعظ يجتمع فيه الناس بالنظامية، وكان من يحضره أكابر العلماء احتراماً له وإكراماً لوالده ولعلمه^(٢). ومن وعاظ النظامية "أبو حفص عمر بن أبي العباس أحمد الخطيبي" كان محققاً فاضلاً، فصيح اللسان، مليح المناظرة، ووعظ بالنظامية مراراً^(٣).

٢ - نظام التعليم والتدريس في النظاميات:

كان منهج التعليم الذي سار بمقتضاه الأساتذة يشمل القرآن الكريم، والحديث والفقه على مذهب الشافعي، وعى علم الكلام والنحو والبلاغة والعروض، ويتدرج المنهج من السهل إلى الصعب، ثم أخذت الدراسة تتوسع يوماً بعد يوم وأخذت العلوم الرياضية طريقها إليها^(٤). وكان هذا استجابة لروح العصر الذي شيدت من أجله المدارس النظامية، حيث انصب اهتمام المدرس الأكبر على تدريس ونشر وتطبيق الفقه الشافعي. وكان تسلسل المنهج وتطبيقه تربوياً سليماً إلى حد كبير، فكانت مناهج الدروس التي يسير بموجبها الطلبة تتدرج من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، إذ تعتمد بالبداية على العلوم النقلية التي تعتمد على اللسان ومقوماته، ثم ينقل الطالب إلى العلوم العقلية التي تعتمد على

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩، ٣٠، السبكي: طبقات الشافعية

ج ٣، ص ٢١٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٤٩

(٢) اليافعي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢١٠، وكانت مجالس الوعظ والإرشاد أشبه بمدارس شعبية، أحمد عبد الرازق: وسائل التسلية، ص ٨٣، ٨٢.

(٣) ابن هداية الله: طبقات الشافعية، ص ٧٣

(٤) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٢٧.

التفكير، ومن هنا كان النحو والصرف بداية المرحلة الدراسية الطويلة، وكان الفقه وأصوله هما النهاية التي ترافق الطالب إلى اللحد، وذلك لأن الفقه بمعناه الخاص هو فلسفة التشريع على اختلاف مذاهبه، وهي مرحلة الاجتهاد التي تستغرق بقية العمر^(١)، ولم تزل خطة التدريس هذه باقية حتى الآن، في أمهات المدارس والجامعات الإسلامية كالأزهر الشريف والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد منح الأستاذ في النظامية استقلالاً وحرية ضمن حدود معينة كما تفرضها النظم الجامعية اليوم فهو لا يدرس عادة إلا المادة التي تخصص فيها واشتهر بها، ومن هنا عرف موضوع التخصص الذي عنيت به المدارس النظامية عناية فائقة، فمثلاً كان يشغل كرسي تدريس النحو في نظامية بغداد، الأديب واللغوي المشهور "أبو بكر التبريزي" ولما توفي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م،^(٢) عهد بتدريس الموضوع الذي شغل بوفاته إلى النحوي الكبير "علي بن محمد الفصيحى"^(٣). ت ٥١٦هـ/١١٢٢م، وكان لكل موضوع في المدرسة شيخ مختص بتدريسه، فكان هناك أستاذ اللغة، وأستاذ للتفسير وآخر للحديث، وغيرها من الموضوعات التي تدرس في النظامية^(٤) وللأستاذ الحرية المطلقة في الطريقة التي يفضلها لا لقاء محاضراته، وكان الطلاب يفاضلون بين الأستاذة بموجبها، حتى حكى عن أبي الفتح المقدسى أنه قال: صحبت أمام الحرمين الجويني، ثم قدمت العراق فصحبت الشيرازي، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالم الجويني^(٥).

استعداد المدرسين للدرس:

كان المدرسون يحترمون الدرس، فكان الواحد منهم إذا عزم على الدرس تنظف وتنظف، ولبس أحسن ثيابه قاصداً بذلك تبجيل العلم وتعظيم الشريعة،

(١) عبد الهادي رضا: الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقي، رسالة دكتوراه، غير منشورة،

آداب القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٤٠.

(٢) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٢٨.

(٣) عبد الهادي رضا: الوزارة، ص ٣٤٠، وما بعدها.

(٤) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٢٩.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية ج ٤، ص ٢٨.

وإذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف، والأهم فالأهم فيتقدم تفسير القرآن ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه أو الجدل^(١)، وكان هناك شخص يقال له "المرتّب" يرتّب الحاضرين، ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم، ويوقظ النائّم ويأمر بسماع الدرس، والإنصات له، وكانت وظيفة المرتّب موجودة في جامع المنصور ببغداد^(٢)، وكان أبو الطاهر إبراهيم بن شيّان النقلي يرتّب فقهاء المدرسة النظامية أيام أبي إسحق الشيرازي^(٣).

من أجل ذلك رغب العلماء في التدريس بالنظامية لعلو مكانتها وكبر شهرتها، ولكونها تابعة للجهات الرسمية والتي على ما يبدو كانت تجزّل الرواتب بالمشاهرات والمنح الدورية للمدرسين والوعاظ والموظفين في المدرسة النظامية وقد ظهر من العلماء من أبدل مذهبه في سبيل أن يتولّى وظيفة التدريس فيها، فابن المبارك الملقب بالوجيه النحوي كان حنفياً، ولما شغل منصب تدريس النحو بالمدرسية النظامية، وكما ذكرنا سلفاً أن شرط التدريس في النظاميات أن يكون المفوض شافعي المذهب، لذا انتقل ابن المبارك النحوي إلى مذهب الشافعي، وتولّى تدريس النحو في المدرس النظامية^(٤).

ولم تخضع المدارس النظامية لرقابة المحتسب، مثلما خضعت الكتاتيب والمساجد التي تمهد للدراسة بالنظامية فكانت موضوعات التعليم وطرق التدريس للصغار بالكتاتيب والمساجد تحت إشراف المحتسب لأن الصغير ينشأ على هذه الطرائق والموضوعات، فإذا كانت سيئة كان نقلهم عنها بعد الكبر عسيراً، لذلك كان المحتسب يقرض المعلمين من توافر عمله، وحسنت طريقته، ويمنع من قصر وأساء من التصدّى لما يفسد به النفوس وتخيب به الآداب^(٥)، ولم يكن هذا التفيش سارياً على النظاميات.

(١) حسين أمين: المدرسة النظامية، ج ٤، ص ٢٨

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٢٢

(٣) ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب، ورقة ٢٨٥

(٤) ابن جبير: الرحلة ص ١٧٤، حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٢٨، ٢٢٩

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٨٧.

كيفية التدريس ومواعيد المحاضرات:

كانت الدراسة تبدأ منذ الفجر حتى الظهر، ثم تستأنف عصرا حتى قبيل صلاة المغرب وبعده، وينتظم الطلبة في شكل حلقات حول الأستاذ بشكل دائري وهو على منصبه، وقد تمتلئ الدائرة بحيث لا يبقى فراغ في داخلها، فيبلغ عدد حضورها أحيانا ثلاثمائة أو أربعمئة كما كان في حلقات الشيخ أبو اسحق الشيرازي التي كانت لا تقل عن أربعمئة طالب^(١). وكانت حلقة إمام الحرمين في المدرسة النظامية بنيسابور تضم ثلاثمئة طالب^(٢)، وربما كانت الطالبات تشترك معهم في الدرس كما حدث في حلقة إمام الحرمين بنيسابور^(٣).

وكان الطلبة أحرارا في اختيار أساتذة المادة التي يرغبون في دراستها، وكانت المناقشة والجدل من أهم الوسائل التعليمية آنذاك، حيث كان الطلبة أحرارا في مناقشاتهم على ألا تتعدى الآداب العامة المألوفة، حتى ألف المعينون بالتربية وأصول التدريس كتبها فيها، وكانت المحاضرات يتخللها الدعايات والنوادر^(٤)، كما كان يفعل الشيرازي في محاضراته، والذي اتخذ الأساتذة مثالا على ذلك^(٥).

وقد أعطانا ابن جبير^(٦)، صورة واضحة لكيفية التدريس في "المدارس النظامية" عامة، حينما زار بغداد وحضر بعض دروس مشايخها في الخامس من صفر سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، حيث وصف مجالس العلماء بأنها مجالس علم

(١) ابن عساكر: تبين كذب المفترى فيما نسب للإمام الأشعري، القاهرة ١٣٤٣هـ، ص ٢٨١، حسين على ممتحن: نظامية بغداد، مقال منشور ضمن مجلة، رابقي تمدن، وفرسنگ إيران، إيران ٢٥٣٥ شاهنشاهی ص ١٧

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط ١، ١٦ جزء، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ٩، ص ١٩

(٣) ابن عساكر: تبين كذب المفترى، ص ٢٨١

(٤) عبد الهادي رضا: الوزارة، ص ٣٤٠

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٥٤١

(٦) أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الأندلسي: ت ٦١٤هـ/١٢٢٢م، رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة، سنة ١٩٥٥م، ص ١٧٤

ووعظ، وقال عنهم أن لهم طريقة مباركة ملتزمة، وكان التدريس مرتبطاً على الأكثر بأوقات الصلاة، خاصة بعد صلاة العصر، بعد أن يتفرغ أكثر الناس من أعمالهم خاصة دروس الوعظ لعمدة الناس^(١)، يقول ابن جبير^(٢) "وأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضى الدين القزوينى رئيس الشافعية، وفقه النظامية، والمشار إليها بالتقديم فى العلوم الأصولية، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة، ومن الطبيعى أن المدرس كان يجلس على مكان عال وهو متطيلس (أى يرتدى الطيلسان)، والطريقة المتبعة أن الطلاب كانوا يجلسون أمام الشيخ على شكل نصف حلقة، ويبدأ الطلاب بالقراءة، و"وكانوا يقرأون بتلاحين معجبة ونغمات مخرجة مطرية"، ومن ثم يبدأ الشيخ بتفسير الدرس" ويتصرف فى أفنانين العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، وإيراد حديث رسوله ﷺ والتكلم على معانيه.

ويضيف ابن جبير^(٣) "أن الطلاب قد تجمعوا حول أساتذتهم، وقد اصطفوا على كراسيهم حول كراسيه، وبدئ الدرس بترتيل أى من الذكر الحكيم، ثم بدأ الإمام درسه، وكان يشرح أية من القرآن ويفسرها مستعينا بالحديث، وكان بعض الحاضرين يسأله شفاهاً عما أشكل عليهم فكان يجيب كلا بدوره، وكان بعضهم يكتب أسئلته ويعطيها للإمام، فكان يجيب عليها بعد أن يجمعها، وقد انتهى الدرس حين أقبل المساء.

ويبدو أن الدرس الذى حضره "ابن جبير" كان درس تفسير للقرآن الكريم" وبعد أن ينتهى الطلاب من تلاوة المقرر الواجب عليهم، وبعد أن يشرح الشيخ المقصود من الموضوع ويستعين على تفسير القرآن بالأحاديث النبوية الشريفة، مستشهداً بآراء السلف وكبار العلماء والتكلم على معانيها، يبادر الطلاب بتوجيه الأسئلة فى المشاكل التى يراود فهمها، وبعد أن تنتهى الأسئلة، يبدأ الشيخ بالإجابة على ما قدم إليه من الأسئلة التحريرية بقصاصات من الورق يجيب عليها الوحدة

(١) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٣٠، مصطفى جواد: المدرسة النظامية ص ٣٢٥

(٢) الرحلة: ص ١٧٤.

(٣) الرحلة: ص ١٧٤.

تلو الأخرى،^(١) وفي ذلك يقول ابن جبير^(٢) "ثم رشقت شأيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر، وتقدم وما تأخر، ودفعت إليه رقاع فيها فجمعها جملة في يده وجمل يجاوب على كل واحدة منها، وينبذ بها إلى أن فرغ منها، وحن المساء فنزل وافترق الجميع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ، وقورا مهيبا، ظهرت فيه البركة والسكينة". وهكذا كان للتدريس آداب ونظم ومواعيد وتقاليد ظلت دستوراً يحتذى حتى الآن.

أساليب التدريس وآداب ولغة التعليم:

كانت اللغة العربية هي لغة التعليم لجميع الطلاب، الأمر الذي ساعد على بناء وحدة ثقافية متكاملة في المجتمع الإسلامي، ويسر على الطلاب حرية التنقل في مختلف أنحاء، وأتاح لهم فرص التلقى عن العلماء، وهذا ما عرف بالرحلة في طلب العلم، فقد كان مطلوبا من الطلبة أن يدرسوا النحو والصرف والشعر واللغة والآداب باللغة العربية دون غيرها. وكان لا يغفر لهم إن ارتكبوا خطأ لغويا. فقد كان على كل متعلم أن يتقن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن السلاجقة أعاجم، حافظوا على لسانهم التركي، ودونوا باللغة الفارسية وأنهم لم يجبروا أحدا على تعلم لغتهم، بل كانت لغة المدارس النظامية هي العربية وعلومها^(٣).

وكان من آداب الدرس العامة، والتي يجب على الطلاب مراعاتها أن لا يمد الطالب رجله في المجلس ولا يتخطى زملاءه ليحتل مقعدا بالقرب من أستاذه، ولا يضحك أو يكلم أحدا غير أنه كان للأساتذة حرية تقديم مقاعد بعض الطلاب، وتأخير بعضهم الآخر وفقا لما يراه، ودأب بعض الأساتذة على منع طلابهم من تدوين ملاحظاتهم في أثناء المحاضرة لأن ذلك قد يؤثر على انتباههم،

(١) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٣٠.

(٢) الرحلة: ص ١٧٤.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤١٩، ج ١٢، ص ١٠٧، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٦٢.

بينما أباحه آخرون، وكان من واجب الأستاذ ألا يميز في المعاملة بين طلابه، بل كان عليه أن يرعاهم جميعاً كولدته^(١).

وكان أغلب الأساتذة يمتنعون عن القيام في أثناء المحاضرة، لتحية الخلفاء وغيرهم من الشخصيات البارزة إكباراً منهم لشرف العلم ومكانته، وكانوا حريصون على الجلوس جلسة معتدلة أمام العلماء، ولا يتصرفون إلا بما يليق بمقام العلم من الوقار^(٢).

أساليب التدريس:

فكانت تتم عن طريق ثلاثة نظم، هي السماع، الإملاء، الأجازه وهي تتفاوت فيما بينهم من حيث الأهمية، فالسماع يكون بقراءة الأستاذ من كتابه (أصوله) أو من ذاكرته ما يريد روايته للطلبة، وهو أعلى طرق التعليم^(٣)، وقد يكون السماع بأن يقرأ الطالب من كتاب أستاذه أو من نسخته هو أو من ذاكرته بحضور أستاذه، وهذا يسمى "العرض" أو أن يسمع الطالب "العرض" من غير حضور أستاذه، وبعض العلماء لم يجز السماع أو العرض خشية أن يكون الطلبة غير متبهمين لما يقرأ عليهم^(٤). أما الإملاء فهو خير أساليب التعليم حتى لمن يأخذون أساليب السماع، حيث كانت مجالس الإملاء تعقد، ويستعان فيها بالمعيدين الذين يعيدون ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيدون عنه فيكتبوه، وكان بعضهم يتخذ الاستملاء مهنة يتعاش منها^(٥).

أما الإجازة، فهي السماح بنقل العلم إلى الآخرين ولها ستة أشكال منها "المناولة" وذلك أن يعطى الشيخ كتبه أو بعضها لتلميذه أو لأحد العلماء، مؤكداً لهم أنها بخط يده، ومنها أنه يجيز الشيخ جميع قراءاته ومسموعاته للآخرين، والشكل الثالث هو أن يرسل الشيخ أحاديث معينة أو أجزاء من كتب الحديث

(١) منير الدين أحمد: المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) البغدادى: المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٠٧، ٤٠٨، ج ١٠، ص ٢١٩، ٣٧٢.

(٣) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٦٣.

(٤) البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٧٤.

(٥) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٦٣.

مكتوبه، ويجيزها لمن أرسلت إليه، والشكل الرابع هو إجازة شخص ما برواية الأحاديث الصحيحة في كتاب مادون تحديد، والشكل الخامس هو أن يتقدم أحدهم بورقة مكتوب فيها حديث أو رأى ويسأل الشيخ عما إذا كانت هي له، فإذا أيدها ذلك الشيخ أصبحت إجازة لصاحبها، والشكل السادس هو أن يصدر الشيخ إجازة لغيره برواية ما تلقاه هو بالإجازة^(١).

ج - الطلاب:

احتضنت المدارس النظامية نخبة ممتازة من الطلاب الفضلاء الذين كانوا مثلاً سامياً في السعى والاجتهاد لتلقى العلم وأصبح لهم فضل كبير في نقل العلوم وعلوم المدرسة النظامية إلى خارج خراسان وغيرها، وتولوا وظائف سامية في مختلف مدن المشرق الإسلامي.

سن القبول واختيار الطلبة:

لم يكن هناك سن محددة للقبول في هذه المدارس النظامية، فقد يدخلها الطالب وهو ابن الثلاثين أو أكثر، إلا أنه لا يقبل عن العشرين في العادة، حيث يكون قد قضاها في التعليم بين المسجد والكتاتيب، فإذا انتمى لإحدى النظاميات وانتظم في سلك طلبتها، وتلقى دروسها فليس هناك سن معينة تمنع من سماع العلم، فقد يغادرها وهو في الثمانين من عمره^(٢)، ولقد حدد بعضهم سن الحادية عشرة لطلبة الحديث^(٣)، كما لم يكن هناك وقت محدد للمدة التي يستغرقها الدرس، أو عدد الدروس اليومية، فقد يستمر ساعة أو ساعتين، وقد يكون هناك درسان في اليوم الواحد أحدهما قبل الظهر والثاني عشاء^(٤).

- مدة الدراسة:

كانت المدة التي يقضيها الطالب في الدراسة غير محددة، لأن مناهج

(١) محمد أسعد طلسي: التربية والتعليم في الإسلام، بيروت ١٩٥٦م، ص ١٤ - ٣٣، منير

الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٦٤

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣ ص ٢٠٧، عبد الهادي رضا: الوزارة، ص ٣٤١

(٣) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٤

(٤) أسعد طلسي: المدرسة النظامية ص ١٥، التربية والتعليم في الإسلام، ص ٢٤

الدراسة نفسها لم تكن محددة أيضا، ثم أن الطالب كانت له حرية اختيار الأستاذ، وتحديد مدة الاشتغال على يديه فطلبة الحديث مثلا كانوا يقضون السنين في جمعه، ثم يأخذون في دقيق فنونه وأسانيده، ويشرعون في تصنيفه وتبويبه، وقد يستغرق ذلك حياتهم كلها^(١) وكانت أقصى مدة للدراسة في العلوم الأخرى في النظامية أربع سنوات^(٢).

- سكن الطلبة:

كانت منازل الطلاب هي دور سكنهم إلى جانب المساجد والبيوت التي يستأجرها الطلبة الغرباء، بل أن بعض الأساتذة كانوا يدعون الطلاب الغرباء للإقامة معهم في بيوتهم، علاوة على وجود الخانات والفنادق في خراسان، وغيرها من مدن المشرق الإسلامي، حيث يحل المسافرون من الغرباء^(٣)، وكانت المدارس النظامية نفسها مأوى للطلاب يسكنون في أروقتها المتعددة، وينفق عليهم من الأوقاف الكثيرة التي توقف عليها^(٤).

- البرنامج اليومي للطلبة:

كان يوم طالب المدرسة النظامية يبدأ منذ صلاة الفجر، وينتهي قبيل منتصف الليل، حيث كان بعض الشيوخ يعقدون دروسهم عقب صلاة الفجر، أو قبل ذلك مما يحتم على طلابها الحضور مبكرين، وكان بعضهم يأتي من أماكن بعيدة وكانت هناك دروس يتم إلقاؤها بعد شروق الشمس، وأخرى تلقى بعد صلاة العصر، وقد تستمر أحيانا حتى وقت الغروب^(٥)، ثم أن هناك دروسا تلقى بعد صلاة المغرب وتستمر إلى ما بعد العشاء وأغلبها دروس الوعظ والإرشاد^(٦)، وهكذا كان البرنامج اليومي للطلاب طويلا، وفضلا عن ذلك فقد كان على الطالب أن يحرص

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٤.

(٢) أسعد طلس: التربية والتعليم، ص ٢٦.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٣.

(٥) مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص ٣٢١.

(٦) ابن جبير: الرحلة، ص ١٧٤، وما بعدها.

(٧) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص ٢٣٨ - ٢٤٢، يحيى الخشاب: نظام الملك، ص ٥٦٧.

على حضور المحاضرات العارضة (غير المنتظمة) وعلى لقاء الشيوخ الذين ليست لهم دروس منتظمة، بل أن بعضهم كان يجرى فى شوارع خراسان وغيرها من مدن المشرق للحاق بدرس فاته^(١).

وفضلا عن ذلك فقد كان طالب النظامية يحرص على الحضور فى وقت مبكر، أما لياخذ الدرس قبل غيره من الطلاب، أو الحصول على مكان متقدم فى حلقة أستاذه، وفوق ذلك كان بعضهم يعمل لكسب قوته، إذ كان غير مقيم فى النظامية^(٢)، وقد فطن نظام الملك على ذلك فأوقف الأحباس على نظامياته للإنفاق منها على الطلبة حتى يتفرغوا للدراسة.

- علاقة الطلاب بعضهم ببعض:

شكل طلاب النظاميات طائفة واحدة متشابكة المصالح والاهتمام، يتعاون أعضاؤها فى أمور حياتهم وشؤون دراستهم، وكان الطالب الجديد فى أمس الحاجة لنصائح زملائه القدامى وإرشادهم، ولهذه الأسباب كانت العلاقات بين الطلاب تسودها روح الزمالة والتعاون والمساعدة، فالغنى ثمنهم يساعد الفقير، والمتمكن من موضوعه يساعد الضعيف، وكانوا يتبادلون الخبرة، ويعرضون مدوناتهم بعضهم على بعض، ثم أن الطلاب وأساتذتهم كانوا يمثلون مزيجا من شعوب شتى، ولعل ذلك يكون الأول من نوعه فى العالم^(٣)، وكانت رابطة طلب العلم هى الرابطة العزيزة على قلوبهم والتي كانت تشدهم بعضهم إلى بعض بعد رابطة الإسلام، فضلا عن وحدة اللغة^(٤)، والمذهب الشافعى الذى كان أهم ما يجمع هؤلاء الطلاب حول فكر واحد ومنهج واحد فى الدراسة داخل النظاميات.

علاقة الطلاب بشيوخهم:

كانت علاقة الطلاب بشيوخهم علاقات ود وصدافة فى الغالب الأعم، وكان الطلبة يكتنون عظيم الاحترام والتقدير لشيوخهم، إذ هم الذين أناروا لهم

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٧.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٢٤٩، ٢٥٩.

(٣) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٧، ٧٨.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٩، ١٣٦، ج ١١، ص ٢٥٦، ٢٥٧، ج ١٢، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

الطريق، وكان الطالب حراً في موضوع دراسته والمدة التي يريد قضاءها في الدراسة، ولذلك فإن إرشادات الأستاذ كانت مهمة من أجل اختيار الموضوع الملائم وتوجيه الطالب الوجهة الصحيحة، وكان الأستاذ يرحب بتلامذته في أى وقت طرّقوا بابه فيه، ويلبى مطالبهم، ويعوض لهم ما فاتهم من الدرس، وإن كان ذلك على حساب راحته وراحة عائلته^(١).

وكان بعض الأساتذة يساعدون طلابهم في الحصول على وظائف حسنة، ويحسنون ذكركم أمام الكبراء من خلفاء وسلاطين ووزراء وأعيان، وكذلك أمام بقية الطلاب فينتشر ذكركم في الآفاق، وكان الطلبة يقابلون ذلك كله بالطاعة والتقدير والاحترام، ولا يسمحون أن يذكر أحد شيوخهم بسوء، بل يدعون لهم بالخير ويترحمون على الميت منهم، ويحسنون رثاءه، ويبدون الحزن العميق على من مات منهم، ويزورون قبره، فعندما مات أبو إسحاق الشيرازي سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، أبدى تلاميذه حزن شديد عليه^(٢)، وعندما مات أبي المعالي الجويني سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، أستاذ نظامية نيسابور طاف تلاميذه الأربعمئة فيها ينوحون عليه، وامتنعوا عن الدرس^(٣).

وكان مجال المناقشة مفتوح أمام الطلاب، وكان الواحد منهم لا يقنع بمجرد السماع بل يعتنى بالدراية والبحث والسؤال والمناقشة، ليتمكن من فهم المسائل العلمية، وكانت للمناقشة بين الأستاذ وطلابه آداب خاصة، تكفل للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته، كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعليم، يقول برهان الزرنجى^(٤)، "اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره"، ومن الآداب المتبعة في النظاميات "ألا يمشى الطالب أمام أستاذه ولا يجلس مكانه، ولا يبدئ الكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكسر

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٢٢٨ - ٢٣١.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٢٤٧. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٥٨.

(٤) تعليم المتعلم: بغداد، ص ١٨، ١٩٤٢م. حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٣٠.

الكلام عند سؤاله ويراعى الوقت^(١)، كما يجب على الأستاذ أن يحترم تلميذه ولا يهزأ برأيه ولا يزدري المساكين من طلابه ولا يختزن علمه عنهم فهم مسئول عنهم وعن علمه^(٢).

الأحوال المالية للطلاب:

كان التعليم يكلف الطلاب كثير من المال، ربما بلغ في بعض الأحيان أربعة آلاف دينار^(٣)، ولهذا عمل "النظام" على راحة طلابه، فأوقف الوقف على مدارسه للصرف عليهم، وما يحتاجون إليه من نفقات المعيشة والسكن، وأثمن الورق والحبر ونفقات الرحلة، وكانت الكتب غالية الثمن، وكان أكثر الطلاب ينسخونها بأنفسهم^(٤).

وكانت هناك جهات أخرى تصرف على الطلاب غير المدارس وأوقافها، فالخلفاء والوزراء والولاة والأغنياء كانوا يبعثون بالمال إلى الشيوخ لتوزيعه على الطلبة، وربما قام بعضهم بإنشاء مطبخ خاص لتقديم الطعام إلى الشيوخ والطلاب على السواء^(٥)، فضلا عن الطلاب الأغنياء الذين كانت تساعدهم أموالهم على تلقي العلم، وكانوا بدورهم يساعدون زملائهم من المحتاجين^(٦).

وكان التعليم قبل إنشاء النظاميات مقصورا على أبناء الأثرياء والكبراء لأنه كما أشرنا يتطلب سعة من المال وشهرة في الجاه، ولكن نظام الملك فتح أبواب نظامياته للنابهيين إذ أنس فيهم حدة في الذكاء، والراغبين في العلم إذا لمس فيهم إقبالا عليه، وضمن لهم عيشا رغدا كريما^(٧) لا يقل عن مستوى طلبة الجامعات

(١) الزرنوجي: نفسه، ص ١٩

(٢) محمد عبد العظيم: نظم الحكم، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص ٥١٠.

(٣) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٨٢.

(٤) محمد طه الحاجري: الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، مقال منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، (مجلد ١٢، بغداد، سنة ١٩٦٥م) ص ٨٠ - ٨٣.

(٥) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٢٧٥، ٤٥٦.

(٦) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٦٠، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٨٣.

(٧) أسعد طلس: المدرسة النظامية، ص ٣٥ وما بعدها.

فى العصر الحديث بل يتعداه، وأتاح لهم حياة كريمة ينظرها الخواص والعوام بعين التجلة والاحترام، فقد كانت النظاميات تستقبل كل طارق دون التقييد بعدد الطلاب، وكان التعليم العالى فيها حرا لجميع المواطنين ممن يحملون مؤهلات ويرغبون فى مواصلة الدراسة بشرط المذهب الشافعى فقط^(١).

أعداد الطلاب:

كان عدد طلاب المدارس النظامية غير محدد، كما أن هيئة المدرسة لم تحدد عددهم، بل كان التعليم مفتوحا أمام كل شافعى، كما كان للطلاب حق اختيار الأستاذ الذى يحضر دروسه ويستمتع إليه، لذا نلمس بعض اختلاف أعداد الطلاب الحاضرين عند بعض الأساتذة، فبعضهم يحضر حلقة عشرة طلاب، والآخر تتكون حلق دروسة من مئات الطلاب كالإمام أبى المعالى الجوينى الذى كانت تضم حلقة درسة ثلاثمائة أو أربعمئة طالب^(٢).

تعليم الإناث:

كانت المرأة السليمة، ما تزال تتمتع بحرية تامة فى مجال التعليم الذى كلفة لها دينها الحنيف، فكان بوسعها الذهاب إلى المسجد، كما كان بوسعها حضور الدروس المفتوحة، وكانت هناك دروس خاصة بهن يلقيها بعض الشيوخ فى المدارس أو المساجد، وغالبا ما تكون فى المساء^(٣)، وكان تعليمهن يتم فى أماكن خاصة كالبيوت وداخل المساجد والمدارس، وكانت الجوارى يحظين باهتمام كبير من لدن أسيادهن، فيعلمن النحو والشعر والغناء وآداب المجتمع^(٤)، وقد وجدت الكثير من المثقفات فى الحديث، وكان لهم دور بارز فى التعليم^(٥).

التخرج والإجازة:

إذا ما انتهى طالب النظامية من دراسته، وتخرج، فكان يقام حفل كبير

(١) أسعد طلس: المدرسة النظامية، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٦، ص ٢٤٧، حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٢٣١

(٣) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٨١

(٤) البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٤٢، ٤٤٣

(٥) انظر الفصل الثانى، ص ١١٠، ١١١.

لتكريم هؤلاء الخريجين، حيث يحصل الخريج على ما يعرف بالإجازة وهي الوثيقة المدرسية، وكان الاستماع للمحاضرات من شرائطها، لأنها لا تفي بالقصد من الدراسة، والغرض من التعلم، إذا لم يصحبها حضور، وهذا ما علل به الماوردي^(١)، وعدم صحة حمل الإجازة والرواية بها إلا بعد حضور الدرس، وقد يمنح الطالب عدة شهادات من شيوخ متعددين، وطريقة الحصول عليها في المادة، كان بناء على طلب يتقدم به لمدرسة بعد أن ينتهي دراسته^(٢).

وهكذا كانت النظم المتبعة في تعيين المدرسين في النظاميات، وأساليب التدريس بها وطرق التدريس ومناهجه وأدواته، وطريقة استقبال الطلاب للدرس، ونظم تخرجهم، نظم تتبعها الجامعات الحديثة اليوم، ونقلتها الحملات الصليبية إلى أوروبا، فعرفت أوروبا نظام الجامعات بنظمها المعروفة من أساتذة ومعيدين وتقاليدها نقلناها عن أوروبا، وما يؤسف عليه فنحن المسلمين السبب في وجودها.

د - المدارس النظامية

نظامية نيسابور:

مدينة نيسابور عامرة بالمدارس^(٣)، ولأهميتها اتخذها طغرل بك وألب أرسلان عاصمة للسلطنة مدة من الزمن، وتأتى بعد بغداد في الأهمية العلمية والدينية، ولذلك لم يرق نظام الملك كرسى الوزارة حتى أمر بعودة المهاجرين منذ عهد سلفه الكندري إلى أوطانهم، وعندما وصل إمام الحرمين الجويني إلى نيسابور حتى بنى له نظام الملك مدرسة، وعلى غرار المدرسة النظامية في بغداد^(٤)، ظلت تتبادل معها الأساتذة والطلاب، بل وتشاطرها الدعاية ونشر العلم، والإرشاد مدة طويلة إلى أن انقرضت.

ولم تذكر المراجع التاريخية تاريخ إنشاء هذه المدرسة، ولكننا إذا عدنا إلى

(١) الأحكام السلطانية، ص ٢٢٨

(٢) أسعد طلسي: المدرسة النظامية، ص ٧٥ وما بعدها.

(٣) المقریزی: الخطط، ج ٢، ص ١٩٢

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢،

ص ١٢٨

القول المتفق عليه بأن الجويني بقى مدرسا فيها قريبا من ثلاثين سنة غير منازع ولا مدافع^(١)، ومع علمنا أنه قد توفي ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، يكون عام افتتاحها ما بين ٤٤٨ - ٤٤٩هـ/ ١٠٥٦ - ١٠٥٧م، وهذا ما لا يمكن أن يصبح لأن نظام الملك لم يكن وزيرا بعد^(٢)، غير أن المعروف تاريخيا أنه حينما أستوزر طلب إلى المهاجرين أن يعودوا إلى أوطانهم، وكان عام استيرازه سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، فلا بد وأن يكون تأسيس نظامية نيسابور ما بين سنة ٤٥٦ - ٤٥٧هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٦٤م، وأن عشر سنين من تلك المدة على التأكيد، كان قد قضاها الجويني في التدريس بالجامع الكبير حينما اقعد للتدريس فيه مكان أبيه أبي محمد الجويني بعد وفاته سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م^(٣).

واستمر الجويني على ذلك له المحراب، والمنبر والخطاب، ومجلس الذكر، وكان يحصر دروسه حوالى ثلاثمائة طالب وقيل أربعمائة^(٤)، وألف عدة كتب لتكون مرجعا سهلا في تناول طلابه وغيرهم، ومن أشهرها "النهاية في الفقه" و"البرهان في أصوله"، و"الشامل"، و"الإرشاد في أصول الدين" وغيرها^(٥)، وكان من أشهر تلاميذه أبو نصر القشيري ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م، الذي بعدما تخرج على يد أستاذه، عقد له المجلس للتدريس في نظامية بغداد، ثم نيسابور، وحضر مجلسه الخواص، وأبناء الصدور، وأحدث وعظمة دويا عنيفا في نفوس أنصار الشافعي ومناوئيه واهتزت له أرجاء العراق، وأنحاء خراسان، واستمرت المعارك بين الحنابلة والأشاعرة بسبب دروسه قرابة خمسة أعوام ٤٦٩ - ٤٧٥هـ/ ١٠٧٦ - ١٠٨٢م، فاستدعاه النظام وجهزه، وبعثه إلى نيسابور، فبقى يدرس فيها إلى أن توفي سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م^(٦).

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٢٤٩، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٨

(٢) عبد الهادي رضا: الوزارة ص ٣٥٣ - ٣٥٦

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٧، اليافعي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٢٣

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩، ص ١٨، السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٢٤٩

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٥، ص ١٢١

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠٧

وبعده جلس الحافظ أبو الحسن عبد الغافر النيسابوري للتدريس فى نظامية نيسابور صاحب كتاب "السياق فى تاريخ نيسابور"، و"مجمع الغرائب فى غريب الحديث" ^(١)، ثم أبو سعد بن أبى صالح المؤذن الذى قرأ على أستاذه كتاب الإرشاد ^(٢)، وأبو القاسم الأنصارى مصنف "شرح الإرشاد" و"كتاب الفقيه"، وكان قد عين أميناً لخزانة الكتب بنظامية نيسابور ^(٣)، وأبو محمد البيهقي ^(٤)، ثم أبو نصر بن أبى بكر السراج الذى برع فى الفقه حتى صار من المعيدى فى دروس أستاذه الجوينى ^(٥).

ومما يرشدنا إلى مكانة هذه المدرسة الكبيرة، ومنزلتها العلمية أنها كانت تخرج من العلماء من يصلح للتدريس فى نظامية بغداد، كالإمام الغزالى، والكنيا الهراس، وغيره، فقد تخرج هؤلاء على يد الجوينى، وصاروا من رؤساء المعيدى والمدرسين البارزين ^(٦)، وكانت نظامية نيسابور تستقبل الأساتذة، والزائرين فتعهد إليهم بإلقاء الدروس فقد زارها المحدث أبو الفضل محمد بن أحمد الطبسى المتوفى سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م، شيخ الصوفية مؤلف كتاب "بستان العارفين" حيث قدم نيسابور، وأملى بنظاميتها أياما ^(٧).

ومن أساتذة هذه المدرسة بعد الجوينى الشيخ أبو سعيد بن أبى القاسم القشبرى ت ٤٩٤هـ / ١١٠٠م، كان يعقد مجالس الإملاء عشيات الجمع فى النظامية، ويخرج بنفسه للحديث ويتكلم فى المتون، ويسط المعانى ^(٨)، وأبو المعالى المعروف بالشهاب الوزير من أسرة نظام الملك ولى التدريس بمدرسة عمه ثم ارتفعت درجته حتى صار وزيرا للسلطان سنجر بن ملكشاه إلى أن توفى سنة

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٢٢، السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٢٥٥

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٣) السبكي: نفسه، ج ٤، ص ٢٢٣

(٤) السبكي: نفسه، ج ٤، ص ٢٤٣

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٤٣، السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٤٤

(٦) ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٢٨٦، ٢٨٧

(٧) المذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٥٦١

(٨) السبكي: الطبقات، ج ٣، ص ١٨٥

٥١٥هـ/١١٢١م^(١)، ومنهم أبو المعالي مسعود بن الإمام أبو المظفر الخوافي تفقه على إمام الحرمين بالنظامية، ثم صار مدرسيها سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠^(٢)، وكان آخر من عرفنا من مدرسي هذه المدرسة الإمام "أبا المعالي قطب الدين النيسابوري" صاحب كتاب "الهادي" ودرس بنظامية نيسابور نيابة عن ابن الجويني، ثم وصل إلى العراق والشام، وألقى الدروس في مدارس دمشق إلى أن توفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م^(٣).

نظامية مرو:

ويطلق عليها أحيانا مرو الشاهجان^(٤)، تميزا لها من مرو الروذ^(٥)، واتخذها الملك جغرى بيك دار الملكة لخصائنها^(٦)، ثم اختارها حفيده سنجر بن ملكشاه عاصمة لدولته إلى أن مات بها^(٧).

أسس فيها "نظام الملك" مدرسة، ووكل أمر التدريس فيها "الأبى المظفر بن السمعماني التميمي" بعد دخوله مرو سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، وانتقاله من مذهب أبى حنيفة الذى ظل يدافع عنه ثلاثين سنة إلى المذهب الشافعي، وكان لانتقاله صدى كبير، وأقدم آثار الفتنة بين العراق وخراسان إلى أن توفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م^(٨)، وكان ممن تفقه عليه، وقام بالتدريس نيابة عنه أبو الفتح

(١) المذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات ج ٦، ص ٢٣٢.

(٣) السبكي: طبقات، ج ٤، ص ٣٠٩، وكان يصدر فرمان للتدريس بها، فقد صدر فرمان أوامر بالتدريس فى نظامية نيسابور باسم محى الدين محمد بن يحيى النيسابورى، انظر، مجلة يادركار: بهمن ماه ١٣٢٣، صفر - ربيع الأول ١٣٦٤ شمسية وملحق رقم (١)، مؤيد الدولة الجويني: "كتاب عتبة الكتبة" بتصحيح العلامة محمد قزويني، وعباس إقبال، تهران ١٣٢٩ شمسي، ص ٦٩ - ٧٢.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٢.

(٥) لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٣٥٣.

(٦) البنداري: آل سلجوق ص ٢٨، ٢٧، الحسيني: أخبار الدولة ص ٣٤، ٣٣.

(٧) الرواندي: راحة الصدور، ص ٢٥٥.

(٨) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٩٨.

أسعد الميهني ت ٥٢٠هـ / ١١٣٣م، الذى درس أيضا بنظامية بغداد^(١)، وبقيت المدرسة مقصدا للطلاب والفضلاء من مختلف الأنحاء ينزلون فيها إذا وفدوا على مرو^(٢).

نظامية هراة:

وهراة ثغر على الحدود الشمالية لافغانستان، ومن أمهات المدن فى إقليم خراسان^(٣)، وكانت من أكبر مراكز العلم ومتعصبى الكلام فى القرن الخامس الهجرى، ففى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م حدث بين أنصار الشافعى، وأحد المتكلمين فتنة وهجم المتعصبون على أبى سعد مدرس النظامية، وكان يقود حملة الحنابلة، "أبو عبد الله النصار" صاحب كتاب "منازل السائرين" فبعث نظام الملك وأبعده حتى هدأت الفتنة، وأعيد سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م، وبقي فيها إلى أن توفى فى نفس العام^(٤)، فكان لا بد أن يؤسس نظام الملك فى مثل تلك المدينة مدرسة لأصحاب المذهب الشافعى كعادته، وما أن تمت حتى استدعى لها "أبو بكر الشاشى" الذى كان من مشاهير العلماء بغزنة، وصاحب التصانيف الكثيرة، وصعب على أهلها مفارقتة لهم، ولكنهم لم يجدوا بدا من امتثال أمر الوزير فجهزه بعائلته إلى هراة، فدرس بنظاميتها إلى أن مات سنة ٤٨٥هـ / ١١٠١م^(٥).

ومن أساتذتها أيضا "أبو سعيد مجد الدين النيسابورى" صنف كتاب "المحيط فى شرح الوسيط" والانتصاف فى مسائل الخلاف"، كان مدرسا بنظامية نيسابور ثم نقل إلى نظامية هراة، وبقي على تدريسها حتى استشهد على يد الغز سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م^(٦)، وهو عام اندثارها.

(١) السبكى: نفسه، ج ٤، ص ١٢٨

(٢) عبد الهادى رضا: الوزارة، ص ٣٥٣

(٣) البغدادى: مراصد الاطلاع، ج ١، ص ١١٠، عبد الهادى رضا: الوزارة ص ٣٦٠

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩، ص ١٥، ١٦، ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٦٦، ٦٧

(٥) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٣، ص ٧٩.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٥٩

نظامية بلخ:

عنى السلاجقة بلخ فعمروها، وشيدوا فيها القصور، وأسس فيها نظام الملك مدرسة عهد بالتدريس فيها لأبى القاسم عبد الله بن شهنشور بن طاهر، الذى كان أماما فى الفروع والخلاف والأصول ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م^(١)، وكان أبو حفص عمر بن أحمد البلخى ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م معيدا بها^(٢)، ثم عين أبو القاسم عبد الله بن عمر الطريق من أهل بلخ مدرستها فيها^(٣).

نظامية طوس:

لم نجد بين المؤرخين وكتاب السير الذين قرأنا لهم من ذكر هذه المدرسة أو أشار إلى مدرستها سوى عدد قليل منهم^(٤)، ولقد بنى نظام الملك مدرسة فى طوس قيل أنها بنيت قبل نظامية بغداد، وأن صحت هذه الرواية غرابة فيها أن طوس هى مهبط رأس نظام الملك، ومقر دراسته فى صباه، ثم هى المدينة التى أقطعها السلطان ملكشاه له تقديرا لجليل أعماله وخدماته لدولته، فأصبحت بذلك فى ممتلكاته، فضلا عن أنها أحب المدن إلى نفسه^(٥)، وإن كنت أميل إلى انه بنى بها مدرسة قبل نظامية بغداد، ولم تزل طوس حتى اليوم تحتفظ بمكانتها العلمية ومكتبتها الغنية بنوادير المخطوطات القديمة.

وهكذا بنى: نظام الملك "مدارسه فى أغلب مدن دوله ملكشاه الواسعة وكانت أشهرها نظامية بغداد، والتى قصدها طلاب المذهب الشافعى كغيرها من المدارس النظامية من كل مكان، وانتشر طلابها فى مختلف الأقطار والأصقاع شرقا وغربا وشمالا وجنوبا مما يعطى دلالة قاطعة على أن العصر السلجوقي كان بحق عصر انطلاق الحركة المدرسية فى الإسلام.

(١) السبكي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٤.

(٢) السبكي: نفسه، ج ٣، ص ٢٨٥.

(٣) السبكي: نفسه، ج ٣، ص ٢٣٥.

(٤) عبد الهادى رضا: الوزارة ن ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) هند وشاه: بن سنجر بن عبد الله صاحبى، ق ٨هـ / ١٤م، تجارب السلف بتصحيح واهتمام عباس إقبال، طهران، ١٣١٣هـ. ش، ص ١٠٥، خواندمير: دستور الوزراء ص ٢٥٤، عقيلي: آثار الوزراء، ص ١٠٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٤، ٢٥، اليافعى: مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٣٥.

هـ - أهم مدارس خراسان الأخرى:

وكانت النظاميات مدعاة لبناء المدارس، ومثارا للتنافس بعد ما أصبحت نموذجاً يجتذى به، ويقتديه مؤسسو المؤسسات العلمية منذ بداية تشيدها إلى ما بعد ذلك بعصور طويلة، ولعل أولى المدارس التي اتخذت النظامية منافسا لها، وشيدت على غرارها مدرسة "أبي سعد المستوفى" ت ٤٩٤هـ / ١٠٠١م، بمدينة مرو لأصحاب أبي حنيفة ووقف فيها كتباً نفسية^(١)، ومدرسة "محمد بن منصور" عميد خراسان بمرو، ووقفها لأبي بكر السمعاني ولأولاده، كما قام ببناء مدرسة بنيسابور أيضاً، وتوفي سنة ٤٩٤هـ / ١٠٠١م^(٢).

وعلى الرغم من بناء المدارس النظامية، فقد كانت هناك عدة مدارس بخراسان منها المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك^(٣)، وقد تتلمذ بهذه المدرسة أبو المعالي الجويني ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م. وكان يتفقه بها عند أستاذة أبي القاسم الأسفرايني، وكان يواظب على مجلسه^(٤)، ومن مدرسيها أيضاً أبو بكر أحمد بن محمد البوشنجي ت ٤٥٣هـ، ١١٤٧م^(٥).

ومن مدارس خراسان المشهورة أيضاً المدرسة العميدية بمرو وكان من أكبر مدرسيها أبو سعد السمعاني الشافعي ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م^(٦)، والمدرسة البلخية ببلخ وتنسب إلى الغمام أبو الحسن علي بن الحسن محمد البلخي الحنفي، ت ٤٥٨هـ / ١١٥٢م^(٧).

وكان هناك المدرسة السعدية بنيسابور، بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي، ومدرسية بنيت للأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ت

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٢٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٧٤.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٤١٣.

(٤) السبكي: نفسه، ج ٥، ص ١٦٩.

(٥) الاسنوي: طبقات الشافعية، ص ٧٠.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ١٨٢.

(٧) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٩.

٤١٨هـ / ١٠٠٥م، قيل عنها لم يبن مثلها فدرس بها وعليه تفقه القشيري والبيهقي^(١).

ما يؤخذ على النظاميات:

فى الوقت الذى كانت مثلاً يحتذى فى سمو أغراضها ورقى نظم الدراسة فيها، فغنها كانت لا تخلو من مآخذ ومخاوف فى هذه الناحية نفسها، وكان أول ما خشيه العلماء من ابتداع نظام الملك، لمدارسة، منح الأجور للأساتذة والطلاب، فسار العلم وفى نظرهم بضاعة، وصار أهله كتبة، وصار التزامهم عليه لا لشرف العلم وإعلائه، بل لتحصيل المنصب والمال، وبذلك هبط مستوى التعليم، كما نزل قدر العلماء مما دفع بعلماء ما وراء النهر الذين أصابهم الهم والحزن، عندما كوشفوا بناء المدارس ببغداد وخراسان وغيرهما، أن أقاموا مآتما للعلم، وقالوا "كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية، والأنفس الذكية يقصدون العلم لشرفه والكمال به، فيأتون علماء ينتفع بهم ويعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساد وأرباب الكسل"^(٢).

وما يؤخذ على النظاميات أيضا ربط المدارس بدوائر الحكم، وخضوع العلم للسياسة، ونفوذ الحكم، والسياسة إذا دخلت حظيرة العلم دمرته وأفسدته إذ أن أول ما تعنى به، وتسعى لنشره إنما هو الصالح الفئدة الحاكمة على حساب العلم، والدعوة لها وللمعتقداتها، وتسخير أقلام العلماء، وألسنة الأدباء فى الثناء عليهم والدفاع عن مصالحهم، وبذلك وصلنا ركام من التأليف والدواوين إذ وردت فى ثناياها عبارات التبجيل والتقدیس، وقصائد المديح والأطراء^(٣)، ويؤخذ على النظاميات أيضا أن الوزير فرض عليها نمطا من الدراسات فى العقائد والعلوم، فلا يكون المدرس ولا الموظف، إلا شافعيًا، وهذا يعنى ألا تكون الدراسات فى علوم الفقه، وما وراء الطبيعة إلا على مذهب الشافعى "الأشعرى"، وهو طريق لا يمكن للمعارف العامة فيها أن تتسع، وللفكر أن ينمو ما لم تعش فى مناخ حر، ونقذ نزيه.

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٠٩، ٢١٠.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٥٣، حسين أمين: المدرسة النظامية، ٢٣٢.

(٣) عبد الهادى رضا: الوزارة، ص٣٧٢ - ٣٧٣.

ولكن نظام الملك لم يمانع من تدريس المذاهب الأخرى ولكن خارج نظاميته وقد فقد كان هناك مدارس للأحناف، والحنابلة بل والشيعة إلى جانب مدارس، ولم يكن يضيق بكل هذه المدارس ولا بزعمائها، وتلاميذها.

كما حدث المدارس النظامية من حرية العلماء قدر الأمكان، ودمجهم في الجهاز الحكومي، السلجوقي، وكان بغية النظام وسلاطين السلاجقة^(١)، وعلى الرغم من هذا كله فإنه يعود الفضل إلى النظاميات إلى أنها كانت من خير ما اهتدى عليه العقل للتفرغ للعلم، وأنها من أفضل الوسائل لنشره، ويكفى أن خريجها قد انتشروا في العلم الإسلامي كله شرقاً وغرباً، شمالاً، وجنوباً، وطبقت شهرتها الأرض كلها، وقصدها طلاب العلم من كل مكان.

٤ - المكتبات (خزائن الكتب)

شهد العصر العباسي حركة نشطة في مجالات التأليف وصناعة الورق، وقد تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية الإسلامية^(٢).

ولقد اتخذت المساجد مستودعات الكتب، فكانت خزائنها غنية بالكتب لا سيما الكتب الدينية التي كان الناس يهيئون لها أو يقفونها على القراءة^(٣)، وفي القرن الخامس الهجري، أقامت الدولة الإسلامية مؤسسات علمية واضحة المعالم، هي المدارس، ساهمت على الدوام مع المساجد في تطوير ثقافة الشعوب^(٤).

وانتشرت خزائن الكتب العامة في المؤسسات العلمية (المساجد - المدارس)، وانتشرت إلى جانبها خزائن الكتب الخاصة بالخلفاء العباسيين في قصورهم^(٥)،

(١) صفية سعادة: تطور منصب قاضي القضاة، ص ١٠٧.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤ أجزاء، النهضة المصرية، ١٩٦٢م، ج ٤، ص ٤٣٠.

(٣) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٤) يوسف العشي: دور الكتب العامة وشبه العامة، ص ١٨٠.

(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص ٢٦٢.

مثل خزانة كتب نفسية، للخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)^(١)، ومكتبة الوزير عميد الملك الكندري ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م^(٢).

ففي عصر السلاجقة زاد الاهتمام بالحركة الفكرية بشكل عام، وبدور الكتب بشكل خاص، فقد حظيت باهتمام المسؤولين عن الإجارة في الدولة السلجوقية حتى شاعت وانتشرت دور الكتب، وأصبح من النادر أن تخلو مدرسة أو مسجد أو مستشفى أو غير ذلك من مؤسسات العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها^(٣).

فقد اهتم "نظام الملك" بالمدارس النظامية، ووقف عليها الوقوف، ثم أنشأ بكل مدرسة دار كتب^(٤) وكان يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق في اختياره، ويجب أن يكون عالماً، عارفاً سني المذهب شافعي أصلاً وفروعاً له، معرفة جيدة بالآداب والعلوم، حسن الخط كتب الكثير من الكتب الأدبية^(٥)، وكان الخط النسخ من أشهر الخطوط المستخدمة لنسخ الكتب العلمية والدينية والتاريخية والأدبية^(٦)، وكان نظام الملك يغدق الأموال والهدايا على خزائن الكتب، كما كان يشتري الكتب بأوفر الأثمان^(٧). وكان دور الكتب مزودة بالآقلام والأحبار والورق ليتمكن الكتاب من نسخ ما يريدون من الكتب التي تشمل الأدب وسائر العلوم^(٨).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٠٦، ص ٤٠٧.

(٢) إدريسى: تاريخ العراق، ص ٢٦٢.

(٣) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص ١٩٢.

(٤) البنداري: آل سلجوق، ص ٥٩.

(٥) محمد ماهر حمادة: المكتبات في افسلام، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٤ م، ص ١٥٣.

(٦) الدمشقي: مصطفى السباعي الدمشقي، اليقين في معرفة أنواع الخطوط وذكر، بعض الخطاطين من الترك والفرس والعرب، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٨٥ ميكروفيلم ٨٤٣١ ورقة ٥.

(٧) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٣٨٣.

(٨) يوسف العش: دور الكتب العامة وشبه العامة، ص ١٧٤.

خزانة كتب نيسابور:

حظيت نيسابور بنفس الاهتمام الذي حظيت به نظامية ببغداد، فانشأ بها نظام خزانة الكتب وأوقف عليها القرمون ورتب لها خازنا وعمالا، ورتب لهم الرواتب^(١)، وحظيت خزانتها بالكثير من المؤلفات النفسية ومنها، ديوان أبي على عثر على العماني، وأبي المظفر ناصر بن محمد، وقد ظفر الباخريزي بالأول^(٢) كما عثر على الثاني والتقط منه أبياتا به مواته ونشر رفاته^(٣)، ثم كتاب الحيوان بالفارسية للفقير الحكيم "أبي عبيد الله عبد الواحد الجوزجاني" من خواص تلاميذ ابن سينا وندمائه وشارح رسالة حي بن يقظان، ومفسر مشكلات القانون وكتاب المفارقات لابن سينا^(٤)، كما وجدت بها نسخة من كتاب وأعداد العقول والأفلاك وترتيب المبدعات، فأخذها جمال الملك بن نظام الملك، ولا ندرى إيطارات بها العنقاء أم ادركها الفناء، وكان هذا الكتاب مشعوق كافة الحكماء^(٥).

وعلى غرار ذلك أسس نظام الملك مكتبات الحق بكل مدرسة من مدارسه، واحدة منها، وكانت كلها عارمة بنفائس المخطوطات، ونوادير المؤلفات في العلم والأدب منها:

خزائن كتب مرو:

كان بمرو عشر خزائن للكتب لم ير في الدنيا زمن كثرة ما بها من كتب، منها خزانتان في الجامع، الأولى: الخزانة الغريزية، وفقها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني، وكان فيها اثني عشر مجلدا أو ما يقاربها، والأخرى يقال

(١) حسين على ممتحن: المدرسة النظامية، ص ١٩.

(٢) دمية القصر: ج ١، ص ٢٤٢، ص ٢٤٣.

(٣) الدمية: نفس الصفحات.

(٤) البيهقي: على بن زيد ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠، تاريخ حكماء السلام، تقديم وتحقيق ممدوح حسن على، ط ١، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ١١٧ -

١١٨

(٥) البيهقي: نفسه، ص ١١٩.

لها الكمالية، وبمرو خزانة كتب أبو سعد المستوفى ت ٤٩٤هـ / ١٠٠١م، وكانت في مدرسته التي أوقفها لأصحاب أبي حنيفة، ثم خزانة الملك الطوسي^(١).

خزانة كتب طوس

وتحتوى على أندر الكتب والمخطوطات^(٢).

٥ - منازل العلماء:

قامت منازل العلماء بدور كبير في نشر العلم، وتوسيع النشاط الفكرى في إقليم خراسان، وكم من مرة وقف فيها الطلبة على أبواب الشيوخ ليسألوهم أو ليسمعوا منهم، وكان الشيوخ والعلماء يتمثلون بقول الله تعالى: "إن الذين يكتُمون ما أنزلنا... ويلعنهم اللاعنون"^(٣).

ولقد كانت الدروس المنتظمة تلقى في البيوت التي كان تصميم بنائها يتلاءم مع هذه الأغراض^(٤)، وربما عقدت مجالس الدروس عند عتبة الباب، حيث الطلبة في الطريق مع شيخهم الذي يلقي عليهم دروسه^(٥).

ولذلك اضطلع علماء المسلمين بمهمة التعليم الجليلة على مرو العصور، فكان من حملة الآداب التي يحرص عليها العلماء ما ذكره الغزالي^(٦) "اعلم أن الإنسان في علمه أربعة أحوال، حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغنى عن السؤال، وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به، وحال تبصير وهو اشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما في ملكوت السماوات"^(٧).

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٥٤، ٢٥٥، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) عبد الهادى رضا: الوزارة، ص ٣٦٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٤) منير الدين أحمد: تاريخ العلم، ص ٧١.

(٥) البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٥٣٥، ٣٥٤.

(٦) أحياء علوم الدين، ج ١، ص ٦٩.

(٧) ولقد حدد الغزالي وظائف العلم وآدابه في ثمان وظائف. لمزيد من التفاصيل راجع الغزالي: أحياء علوم الدين، ج ١، ص ٦٩ - ٧٢.

ومن ذلك يتضح انه على العالم المعلم إفادة المتعلم بالعلوم التى يدرسها له، ونظرا لزيادة النشاط الفكرى الذى تميز به إقليم خراسان، وكثرة العلماء بخراسان، ونزولهم منازل العلماء وإقامتهم فيها مما كان له أثر كبير فى عملية التعليم.

٦ - حوانيت العلماء:

كان بعض العلماء يعملوا فى الأسواق لكسب معاشهم، وكانوا يستقبلون طلابهم فى حوانيتهم التى كانت هى أيضا ملتقى العلماء، حيث كانوا يتباحثون فى مختلف المواضيع المتعلقة بالحديث النبوى والرواية والشعر، وما إلى ذلك من فقه وكلام وغيره^(١).

ومن هؤلاء العلماء الشيخ أبو الفتوح عبد الوهاب الشاذياخى النيسابورى ت ٥٣٥ هـ/ ١١٤١ م، وكان يروى الأحاديث فى حانوته^(٢)، بل أن أحد علماء الفقه كان يعقد مجلس درسه فى حانوته بانتظام بين صلاة المغرب والعشاء^(٣).

٧ - حوانيت الوراقين:

لما اتسعت الدولة الإسلامية، وكثرت المؤلفات العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها فى الآفاق والأمصار، فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين^(٤).

وكانت حوانيت الوراقين عبارة عن دكاكين صغيرة تقام قرب المساجد،

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٢، محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصفهان، ص ١٣، محمد سعد السيد: الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ٢٠٠٤ م، ص ٨٤.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٤٦.

(٣) البغدادى: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٠٣، ج ١١، ص ١٣٧، منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٧٢، ٧٣.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، مج ٢، ص ٣٤٩، هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون فى العصر العباسى ١٣٢ - ٦٥٦ هـ، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م، ص ٢٢٤.

وتجلس فيها باعة الكتب الذين كان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأديين^(١)، ولقد انتشرت هذه الدكاكين وغدت مسرحاً للثقافة والحوار العلمى فى العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها^(٢)، وأصبحت الوراقة صورة من النشاط الفكرى والعلمى فى الحضارة الإسلامية فى إقليم خراسان، حيث كان للوراقين الأثر الفعال فى تنشيط الحركة العلمية وتيسرها، وتطوير الكتاب والافتنان فى إخراجته وتجليده وتذهيبه^(٣)، وكان للفرس أو الترك على السواء عناية خاصة، بالتذهيب بالنقوش الثمينة فى الخط قديماً وحديثاً^(٤).

ونظراً لأن سكان إقليم خراسان من الفرس والترك، فقد ازدهرت حوانيت الوراقين فى هذا الإقليم، خاصة فى العصر السلجوقى، ونشطت تجارة الوراقين وذلك بإنشاء حوانيت للتجارة^(٥)، فانتشرت المصانع فى كثير من أنحاء البلاد الإسلامية، حيث أصبح الورق من المواد الشائعة فى الكتابة والتدوين الإسلامية^(٦)، ومنها مدن وقرى إقليم خراسان.

وقد كثرت مجالس الإملاء وانتشرت فى المدن الإسلامية، وكان كثير من مؤلفات المسلمين قد ألقت عن طريق المسلمين قد الفت عن طريق الإملاء، ولهذا فقد أظهرت كتب كثيرة مقرونة باسم الأمالى، منها "أمالى شمس الأئمة السرخس الحنفى ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م^(٧)، والأمالى فى الفقه: لعبد الرحمن بن أحمد أبو الفرج السرخسى الشافعى ت ٤٩٤هـ / ١٠٠١م^(٨).

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٥.

(٢) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٤٨.

(٣) الجبورى: الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ص ١٢٤.

(٤) الدمشقى: اليقين فى معرفة أنواع الخطوط، مخطوط، ورقة ٨.

(٥) محمد طه الحاجرى: مجلة المجمع العراقى، الورق والوراقة فى الحضارة الإسلامية،

مج ١٢، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٦) الجبورى: الكتاب فى الحضارة، ص ٨٠.

(٧) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ٣، ص ١٥٨٠.

(٨) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج ١، ٥١٨.

٨ - مجالس الوزراء:

لقد حفلت قصور السلاطين والوزراء والأمراء بمجالس العلم، فكانت مجالسهم مجمعا يفد إليه العديد من العلماء والأدباء لعرض إنتاجهم، أو المناقشة والمناظرة مما أدى إلى إثراء الحياة الفكرية في إقليم خراسان عامة.

وكان أول ملوك السلاجقة طغرل بك ت ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م^(١)، قد استوزر محمد بن منصور بن محمد، الملقب عميد الملك الكندري، الذي كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة^(٢).

ويقول الباخرزي^(٣): جمعني وإياه مجلس علم يقصد عميد الملك سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م، فعاشرت فيه شابا، - مهر حدثه قروح، فرأيت هنالك حسما كله روح.

ولقد عده النظامي العروضي^(٤): من جملة الكتاب الذين لا بد للكاتب الإطلاع على كتبه، وعلى الكاتب أن يطلع على هذه الكتب ويديم مطالعتها، حتى يصقل ذهنه، وينير طريقة، ويستحق اسم كاتب.

على أن أعظم وزارة السلاجقة الذين اعتنوا بالعلم والعلماء هو الوزير نظام الملك ٤٨٥هـ / ١٠٩٢، الذي اعتنى ببناء المدارس ودور المكتب والمساجد،

إلى جانب ذلك كانت مجالسه مليئة بالعلماء، حيث جعل في دارة ندوه يوم الاثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون قيد في سن أو شرط في مذهب فهذا الحنبلي والمالكي إلى جانب الحنفي والشافعي^(٥)، ولقد سار كثير من أولاد وأحفاد نظام الملك ممن تولوا الوزارة على نهجه في الاعتناء، فكان الوزير "صدر الدين محمد بن فخر الملك بن نظام الملك" وزير السلطان سنجرت ٥٥١هـ / ١١٥٦م يجالس العلماء ويصطحبهم وكثيرا ما يدعوهم إلى مجلسه^(٦).

(١) ابن العلماء: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٩٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٣٨.

(٣) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ٢، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) جهار مقاله، المقالة الأولى، ص ٢٣.

(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١.

(٦) النظام العروضي: جهار مقاله، ص ٧٠.

وكان مجلس قوام الدين الدركزینی وزیر السلطان سنجر ملئ بالفضلاء والشعراء والفضلاء أشعارا غراء في مدحه، فشملمهم بعنايته وإحسانه^(١).

٩ - مجالس العلماء:

المجلس هو الشكل الآخر للتعليم بعد نظام الحلقة، واصله المجلس الذي كان يتخذه الرسول ﷺ وسار كثير من المسلمين على منواله، وكان يجلس الرسول ﷺ في مسجده وحوله الصحابة رضوان الله عليهم، ليعلمهم أمور دينهم، وأصبحت مجالس المساجد للعلم سنة من بعده^(٢).

ولقد تعددت مجالس العلماء فكان هناك مجالس الحديث، ومجالس التدريس، والوعظ، والمناظرة، المذاكرة، ومجالس الشعراء، والآداب، والفتوى.

مجالس الحديث:

وهي نوعان: عارض، ودائم، فالعارض هو أن يكون لدى المحدث أحاديث محدودة فيجلس لروايتها في مجلس أو مجلسين، ومثلها المجالس التي يحضرها العامة لسماع الحديث التي كانت تعقد في بيوت بعض الأعيان^(٤).

أما المجالس الدائمة فهي التي يعقدها الشيوخ المتخصصون في الحديث، في أيام معلومة من كل أسبوع، ويحضرها الطلبة ويدأومون على حضورها حتى يفرغ الشيخ من إملاء حديثه، وقد تستغرق ذلك عدة سنوات، تصل في بعض الأحيان إلى العشرين أو الثلاثين سنة^(٥)، مثل مجلس أبي القاسم القشيري الذي كان يعقد مجالس الإملاء في الحديث من سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م إلى أن توفي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م^(٦)، ومن كان يعقد مجالس الإملاء في الحديث بنيسابور إلى أن

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٧.

(٢) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٥٥.

(٣) منير الدين أحمد: نفسه، ص ٥٥.

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦٧، ج ١٢، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٥) البغدادي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٤، ٣٥. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٥٦.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١٥٦.

توفى سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م^(١).

وكان محمد بن أبي المظفر السمعاني ت ٥١٠هـ / ١١٧م يعقد مجلس الحديث بمرور^(٢)، ولقد شاركت النساء في مجالس الحديث، فكانت تعقد لهن مجالس مثل مجلس بيبي بنت عبد الصمد الهروبة، سمع منها عالم لا يحصون، توفيت ٤٨٥هـ / ١٠٨٢م^(٣).

مجالس التدريس:

وتختص هذه المجالس عادة بتدريس الفقه والنحو وعلم الكلام، وما إلى ذلك من العلوم^(٤)، وكان شيوخ هذه المجالس يتبعون منهاجا خاصا في التدريس لم يكن محددا، غلا أنه لم يكن في العادة كبيرا، وكان مجلس أبي المعالي الجويني ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، كان يحضره نحو ثلاثمائة رجل من الأئمة والطلبة.

مجالس الوعظ:

كانت مجالس الوعظ أهمية كبرى في الدولة، الإسلامية، حيث يقوم الواعظ مقام المدرس، ويحضر حلقاته عامة الناس دون تمييز، ويأخذ الواعظ على عاتقه بثقيف الناس ثقافة دينية، ويشرح لهم الشرائع، ويجيب على جميع أسئلتهم، وخاصة ما يتعلق بالفتاوى الدينية^(٥). ومن أشهر الوعاظ في إقليم خراسان في العصر السلجوقي.

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٤٩، ٥٠.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) البغدادي: أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية، حيدر باد الدكن، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م، ص ٥٤ : ٥٥.

(٥) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٥٦.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١٧١.

(٧) مليحة رحمه الله: ملامح من الحياة الاجتماعية في بغداد، مقال منشور بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر، ١٩٦٦م، ص ١٠٤.

أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الشافعي الواعظ ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م، مجلس للوعظ وله عشر سنين، عندما توفي والده فأجلس مكانه.

وحضر أول مجلس له أئمة الوقت، وكانوا يلزمون مجلسه ويتعجبون من فصاحته، وكمال ذكائه، وحسن إيراده^(١).

ومجلس أبو علي الصابوني ت ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م، بنيسابور، وكان ينوب عن أخيه أبو عثمان في مجلس الوعظ^(٢).

ومن الوعاظ أبو القاسم الفضل بن عبد الله المحب النيسابوري، وكل يعظ بنيسابور توفي ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م^(٣).

ولقد شاركت النساء في مجالس الوعظ هذه فكانت تعقد لهن مجالس يؤمها الوزراء والعلماء والعامة مثل مجلس والعامة مثل مجلس كريمة بنت أحمد المروزية ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م، وقرأ عليها الخطيب البغدادي^(٤).

مجالس المناظرة:

لقد لاقت هذه المجالس أهمية كبيرة لدى الخلفاء والسلاطين والوزراء، فنظام الملك لم يكن يعين أحد من المدرسين في دارسه النظامية إلا بعد إجراء مناظرة يقف فيها على ثقافته ومذهبه^(٥)، وكان زعماء الفرق الدينية يتجادلون، ويتحاورون في حلقات المناقشة المعقودة في المساجد أو في منازلهم^(٦)، وكانت المناظرات تتناول مختلف المواضيع الدينية والعلمية والأدبية^(٧) بل كانت تعقد مجالس المناظرات

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٨٢.

(٢) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٥٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩٦. وعند الحنبلي أنه توفي ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م.

(٣) ابن العماد الحنبلي: نفسه، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٤) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٥) سعيد نفيسي: مدرسة نظامية بغداد، مجلة مهر، طهران، ١٣١٣هـ / ١٩٤٣م، ص ٤٣، ٤٤.

(٦) حسين أمين: المدرسة المستنصرية، ص ١٥.

(٧) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢١.

بالصدفة، مثل المناظرات التي اتقفا بمدينة نيسابور بين أمام الحرمين، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي عندما دخل الشيخ رسولا إلى نيسابور^(١).

وكانت هناك مجالس للمناظرة تحدث بخراسان، فكان أبو الفتح الحداد الأصبهاني ثم الخواص النيسابوري المتوفى سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م، يعقد مجلس المناظرة وكان له السعادة في المناظرة والعبارة الحسنة المهدبة والتميز على الخصم^(٢).

مجالس الفتوى:

كان الغرض من هذه المجالس هو إصدار الفتاوى، وربما ثم عقدها مرة في الأسبوع، وتكون عادة مفتوحة للجميع، وكان طلبة الفقه يحرصون على حضورها وتدوين الفتاوى التي درسوها^(٣)، وكان الجانب العلمى في هذه المجالس ذا فائدة عظيمة لا يمكن إنكارها. ومن جلس للفتوى في إقليم خراسان في العصر السلجوقي^(٤)، أبو المعالي الجويني ت ٤٧٨هـ ١٠٨٥م^(٥)، عبد الرازق بن عبد الله ابن على بن إسحاق الطوسي، ابن أخى نظام الملك ت ٥١٥هـ / ١٠٢٢م^(٦)، وغيرهم.

مجالس الأدب والشعراء:

كانت مجالس الأدب والشعراء كثيرة يحضرها الطلبة لتدون ما يسمعون فيها، وكانت أحيانا في المنازل والخوانيت، وربما استدعاهم السلاطين والوزراء إلى قصورهم لكي يتبارى الشعراء والأدباء بشعرهم وأنسابهم، وكان لا ستحب عقدها في المساجد لأن غير المسلمين كانت لهم مجالسهم الأدبية^(٧)، ولقد اهتم سلاطين ووزراء السلاجقة بالشعر والشعراء، وكان لهم عطاء يذكر للشعراء، وقد قرب

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٠٩: ١٢٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤١٠.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٩٥، ٩٦.

(٤) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٦٠.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٨، ١٩.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٠٤.

(٧) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم، ص ٨٥.

الكندري ونظام الملك وقوام الدين الدرگزینی، ووزراء طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه وسنجر، الشعراء ن وأغدقوا عليهم الأموال فالكبدری عندما قدم عليه الباخريزى، مادحا، خلع عليه، ثم أمر له بألف دينار عندما فرع من إنشاء^(١). وكان نظام الملك يعين رسما يدفع إليهم بانتظام^(٢)، كما كان قوام الدين الدرگزینی، يشملهم بعنايته وإحسانه^(٣).

ومن أشهر من عقد مجالس الأدب والشعراء فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى الأبيوردی ت ٥٠٧هـ / ١٠١٤م^(٤).

١٠ - البيمارستانات:

وتختصر فى كثير من الأحوال فيقالا "مارستان" وهى مأخوذة من الكلمة الفارسية "بمعنى مريض و"إستان" بمعنى مكان مكان، وتدل على المستشفى، والبيمارستان فى الاصطلاح الحديث يطلق بصفة بخاصة على مكان يأوى المجانين^(٥).

وكانت البيمارستانات دورا لعلاج المرضى^(٦)، كما شملت تدريس صناعة الطب، حيث أنه لابد لمن يتعلم الطب ويدرسه ويمارسه كمهنة أن يعمل فى المستشفيات حتى يتدرب ويتمرس على مهنة الطب، ويستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التى يقابلها تحت إشراف أساتذة علماء^(٧)، كما أن بعضنا من مشايخ

(١) على جواد الطاهر: الشاعر فى المجتمع السلجوقى، مقال منشور بمجلة الآداب، بغداد، العدد الثالث، ١٩٦١م، ٥٥.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء ن ص ٢٥٦، ٢٥٧، على جواد: الشاعر فى المجتمع السلجوقى، ص ٥٥، ٥٦.

(٣) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨.

(٤) الأصفهاني: خريدة القصر، ج ٢، ص ٢١٧ وما بعدها.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية: مركز الشارقة للإبداع الفكرى، مج ٧، ط ١، ١٤٨٠هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٠٦٤ مادة بيمارستان.

(٦) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١١٤.

(٧) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١٠ / ١٩٩٠م، ص ٥٠١.

الطب كان يجعل له مجلسا خاصا لتدريس الطب فى منزله أو فى مدراس خاصة بذلك^(١).

ولقد انتشرت البيمارستانات المتنقلة فى العصر السلجوقى، ولقد أجمع المؤرخون على أن السلطان السلجوقى كان يستصحب فى معسكرة بيمارستانات على أربعين جملا^(٢).

وكان الأطباء فى إقليم خراسان ومعالجاتهم البديعة وآثارهم الطبية الحسنى، لخير دليل، على وجود بيمارستانات تمارس فيها هذه المعالجات^(٣).

ومنها بيمارستان نظام الملك بنيسابور^(٤)، وكان قبل نظام الملك دارا للمرضى، يقوم الأطباء بتمريض المرضى بها، وكان عبد اللم بن محمد بن إبراهيم الخركوشى النيسابورى ت ٤٠٧هـ / ١٠١٥م الذى بنى هذه الدار يقوم بشراء الأدوية للفقراء^(٥).

١١ - الزوايا والأربطة والخوانق:

الزوايا جمع زاوية وهى لفظ عربى معناه الركن من الدار، أو المكان عامة^(٦)، وهى من مؤسسات العلم والثقافة، وهى عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة فى جهات مختلفة من المدينة فى شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون فيها، ويعقدون بها حلقات الدراسة فى

(١) محمد كامل حسين وآخرون: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، جزءان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، بدون، ص ٢٣٠.

(٢) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، الطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٠٢.

(٣) ابن أبى أصبيعة: موفق الدين أبو العباسى أحمد بن القاسم السعدى، ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ٣ أجزاء فى مجلدان، ط ٢، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٤) السبكى: طبقات، ج ٤، ص ٣١٤.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٦) المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، حاشية ٣، ص ١٨٢.

علوم الدين وما يتصل بالعلوم العقلية والعقلية^(١)، وكانوا يقفون هذه الزوايا ومثلها التكايا على الفقراء الصوفية، وكانت الزوايا تبنى أحيانا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة^(٢).

أما الربطة: فأصل الرباط ما يربط فيه الخيل^(٣)، عملاً بقول الله تعالى "واعبدوا لهم ما... عدو الله وعدوكم"^(٤) ثم قيل أن الرباط مكان إقامة الحامية المراقبة عند ثغور العدو^(٥)، حيث يدافع المجاهد المقيم في الرباط عمن وراءه على طاعة الله وبدعائه عن العباد والبلاد^(٦).

ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الأربطة في البلاد الإسلامية، فلم تعد مكاناً عسكرياً، بل أصبحت أماكن لحياة الزهد والتقشف، والتصوف يرتادها الصوفية كما أصبحت تؤدي خدمات اجتماعية ودينية، إضافة إلى دورها الثقافي في الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب، وساعد على ذلك أن الوافقين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن، ووقفوا بها الكتب، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها، وكذلك يفعل الطلاب الذين يرحلون في طلب العلم، وكان العلماء يتخذون من الرباط أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف، وساعدهم على ذلك مكتبات الأربطة العامة، وإمكانية مكوثرهم فيها وقتاً طويلاً وماتياً لهم فيها من معونة بشرية تتمثل في الطلاب والمتصوفة، الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلباً للتوبة^(٧).

(١) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص ٢٥٠.

(٢) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٦٢.

(٣) السهروردي: شهاب الدين أبي حفص عمر ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م، عوارف المعارف، تحقيق د. عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، جزءان، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج ١، ١٨٠.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٥.

(٥) السهروردي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٠.

(٦) لمزيد من التفصيل عن خصائص الأربطة، راجع السهروردي، ج ١، ص ١٨٣: ١٩٢.

(٧) مريزي عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص ٢٣٩، الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص ٢٤٢.

ولقد انتشرت الربطة فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، خاصة فى عهد الوزير نظام الملك الذى بنى الرباطات فى مدن خراسان^(١)، كما قام العلماء ببناء الرباطات، فقام حسان بن سعيد المنيعى ببناء الأربطة فى نيسابور ومرو^(٢)، وقام أبو سعد النيسابورى ت ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، ببناء رباط بنيسابور و كان شيخ الرباط، وكان له مريدوه، وكان نظام الملك يعظمه، وناب عنه فى مشيخة الرباط ولده إسماعيل وجلس مكانه وكان يدخل راكبا على جملة من باب الرباط^(٣).

- رباط فيروز آباد بهراة، وكان شيخ الصوفية بالرباط الجنيد بن محمد القاينى لمدة أربعين عام حتى توفى سنة ٥٤٧هـ / ١٠٥٥م^(٤).

- رباط عبد الله بن احمد المروزى ت ٥٣٩هـ / ١١٤٥م، لقد أنشأ للمحدثين واشترى كتب كثيرة، ووقفها فى رباطه^(٥).

أم الخوانق: فهى جمع خانقاه، والخانقاة كلمة فارسية معناها البيت، وهى حديثة فى الإسلام، فى حدود الأربعمئة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف^(٦)، وكانت تبنى غالبا على شكل مساجد للصلاة، إلا أن فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء والصوفية وبيتا كبيرا لصلاتهم مجتمعين والقيام لأورادهم وأذكارهم، ولا يكون فيها فى الغالب منبر لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلا نادرا^(٧).

ومن هذه الخوانق:

خانقاة الغزالي ابتناها أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ / ١١١١م، بطوس

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص٣١٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٢٧٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٦، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٦٣، وذكر ابن العماد أنه توفى ٤٧٩هـ / ١٠٦٨م.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص٥٤، ٥٥.

(٥) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٦١.

(٦) المقرئى: السلوك، ج١، حاشية ٤، ص١٨٢، أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص١٢٢.

(٧) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص١٦٠.

للسوفية ولزومها ووظف أوقاته فى التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث ومجالسة أهل القلوب حتى توفى بطوس^(١).

"خانقاة زولاه" بنواحي مرو، وكان شيخ الصوفية بها أبو منصور محمد بن محمود المروزي، ت ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، وصارت الخانقاة مقصدا لطلبة الحديث، وقد سمع منه أبو سعيد المسعاني ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، وصارت زولاه مقصدا لطلبة الحديث والعلم^(٢).

١٢ - القلاع والحصون:

اشتهر إقليم خراسان ببناء القلاع والحصون والسوار لحمايتها ولقد اتخذت هذه القلاع والحصون كنقاط حربية إلى جانب كونها مكانا للتعليم حيث كان يربط فيها الفقهاء والعلماء والطلاب فتحوّلت من قلاع حربية إلى قلاع علمية^(٣). ومن هذه القلاع والحصون: حصن بذخشان^(٤)، وحصن هراة^(٥). ولاية قهستان، وكانت أحد بلاد خراسان المليئة بالحصون والقلاع واستولى عليها الحسن الصباح سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م^(٦).

طبرس:

وكانت أحد حصون خراسان، واستولى عليها الحسن الصباح أيضا سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م^(٧) واستطاع السلاجقة إعادتها بعد عشر سنوات من الصراع عليها وذلك سنة ٤٩٧ / ١١٠٤م^(٨).

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٢.

(٢) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٥.

(٣) محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصبهان، ص ١٢.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٣١٤، بذخشان فى أعالي طخارستان ملازمة لبلاد الترك،

وبها رباط بنته زبيدة جعفر بن أبى جعفر المنصور. السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٣١٤.

(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٤٣.

(٦) الجوينى: جهانشاى، ج ٣، ص ٢١٦.

(٧) برناردلويس: الحشاشون، ص ٩٠.

(٨) الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٤٣٤.

قايين

قلعة حصينة من قلاع خراسان، وكان الحسن الصباح قد أرسل أحد دعائه ويدعى "حسين القايين" إلى قهستان ليتولى الدعوة بها وبقاين وطبس، فاستجاب له جماعة من أهلها، واستقل بقهستان وقلاعها، وعينه الصباح نائبا عليها^(١). قلعة كردكوه أحد قلاع خراسان واستولى على الإسماعيلية وكانت أحد قلاعهم الحصينة^(٢).

وبذلك كانت القلاع أحد المؤسسات العلمية التي اتخذها الشيعة - الإسماعيلية مقرا لنشر دعوتهم الباطنية، وبذلك كانت القلاع والحصون لخدمة الباطنية.

وهكذا كانت المؤسسات العلمية ذات أثر واضح في النهضة الفكرية التي شهدتها إقليم خراسان، وأقاليم العالم الإسلامي، بفضل اهتمام السلاطين والوزراء والعلماء ببناء هذه المؤسسات العلمية، التي أنجبت لنا علماء أجلاء كان لهم الفضل في تسيد الحضارة الإسلامية، على الحضارات الأخرى في تلك الفترة.

(١) الجويني: المصدر السابق، ص ١٩٤.

(٢) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢٠٩.